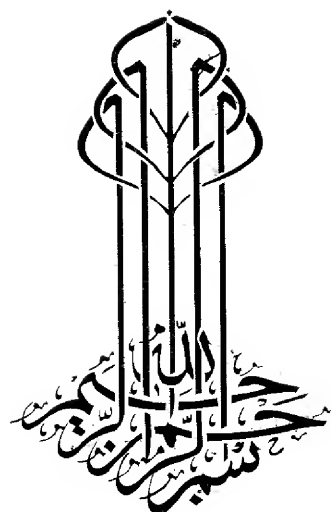


المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة

تأليف

المؤستاذ الدكتور محمد بن علي الصايل
المستأذن في اللغة والنقد وبتعليم الأستاذ الأستاذ
في كلية اللغة العربية بالرباط
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار السنة
للطباعة والنشر



المدخل إلى دراسة بلاغته هيك السنتنا

تأليف

الأستاذ الدكتور محمد بن علي الصايل
الأستاذ بقسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي
في كلية اللغة العربية بالرياض
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كنوز شيبلي

للنشر والتوزيع

ح) دار إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الصامل، محمد بن علي

المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة/ محمد بن علي الصامل - ط ٢

- الرياض، ١٤٢٦هـ

.... ص: ٢٤×١٧ سم

ردمك: ٩٩٦٠-٨٩٨-٠٦-٧

١- البلاغة العربية ٢- أهل السنة أ- العنوان

١٤٢٦/٢٩٩٨

ديوي ٤١٤

رقم الإيداع: ١٤٢٦/٢٩٩٨

ردمك: ٩٩٦٠-٨٩٨-٠٦-٧

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

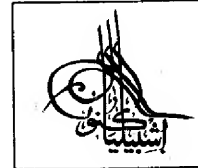
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com



ذكر ودعاء وشكرواهداء

إلى أبي/ علي بن محمد بن صامل بن ملاقي الجهني: كنت أبا شقيقاً، ومربياً حازماً، علمتنا حبّ الناس واحترامهم، صارعتَ ظلام الأمية، لتنقلنا إلى نور العلم، تركتَ هذه الدنيا الفانية وسمعتك حسنة، وذكراك عطرة، تشيعك أدعية المحبين، أمطر الله شآبيب الرحمة عليك وعلى والديك، وغفر الله لك، وأعلى درجاتك، ونفعك بدعائنا لك.

إلى عمي/ محمد بن محمد بن صامل بن ملاقي الجهني: كنت لي أبا وأخاً وصديقاً، شملتني بعطفك، وأكرمتني بنصحك، وأسديتَ لي معروفاً لا أنساه ما حييت، تعلمتُ منك مكارم الأخلاق وحسن التعامل مع الناس، تركتَ فراغاً بيناً في نفوس محبيك، عوضك الله في خلفك خيراً، وأصلح ذريتك، ونفعك بدعائهم، وأغدق الله عليك رحمته، وغفر لك ولوالديك.

إلى أُمّي/ يا صاحبة القلب الكبير: تعبتِ وعانيتِ، وشاطرتِ والدي شظف العيش، وكبد الحياة، فكنتِ له خير معين، حرصتِ على غرس حبّ الخير وصلة الرحم في نفوس أبنائك، ووجهتِ فأحسنّتِ التوجيه، ودعوتِ فأخلصتِ الدعاء، وإنّي لأرى أثرَ دعائك لي ولإخوتي عياناً في كل أمر من أمور الحياة. متعلّك الله بموفور الصحة وهناء العافية، وأطال في عمركِ على طاعة الله، وأراكِ من بنيك ما يسركِ، ورزقك برّهم ونفعهم.

إلى أمّ عليّ وأبنائي وبناتي: أعنتموني بصبركم، وساعدتموني بدعائكم، ويسرتم لي من الأوقات ما هيا لي إنجاز كثير من أعمالي، جعلكم الله عوناً لي على طاعته، والله يحفظكم ويرعاكم.

إلى أحبتي: أقاربي جميعاً، وزملائي وأصدقائي، ومشايخي وتلاميذي. أهدي لكم أعبق التحيات وخالص الدعوات.

محبكم جميعاً

أبو علي

٢٤

الْمَدْحُ إِلَى دَارِ السَّعَادَةِ
بِأَعْيُنِ أَهْلِ السَّعَادَةِ

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، وعلى آله وصحبه ، ومن استن بسنته ، واهتدى بهديه إلى يوم الدين .
إن المرء ليسعد أيما سعادة حين يجد قبولاً لما يكتب ، وتأيداً لما يرى ، واقتداءً بما فعل ، إذا كان ذلك كله في أبواب الخير .

وقد أكرمني الله سبحانه بشيء من ذلك حين نشرت الطبعة الأولى من كتابي الذي أسميته - حينذاك - "المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة" في مطلع ١٤١٨ هـ ، فحظي - بحمد الله - بالقبول لدى كثير من القراء ، فنفدت نسخ الطبعة الأولى ، وتلقيت اتصالات عديدة بين مؤيدة مشجعة ، ومنتقدة موجهة ، وزاد من غبطتي بطرح هذه الفكرة ، والكتابة فيها ، ونشر هذا العمل العلمي أن عدداً من الباحثين سلك هذا الطريق في رسائل علمية معتبرة ، فتحقق ما كنت دعوت إليه في مقدمة الطبعة الأولى ، حين ارتضيت تسمية كتابي "المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة" ، فقد كان مدخلاً لذلك ، وشجع عدداً من الباحثين على أن يدلّفوا إلى هذه الساحة ؛ ليرزوا الوجه البلاغي من وجه نظر أهل السنة .

وإني حين أقدم للطبعة الثانية أذكر بمزيد من الشكر والتقدير والدعاء كل من تفضّل بالاتصال بي ، أو بالكتابة إليّ ، فأفدت من آرائهم ، وأخذت بتصويباتهم ، وانتفعت بتوجهاتهم وملحوظاتهم ، ولا أستطيع إحصاءهم عدداً ، ولكنني أتضرع إلى الله جل وعلا بأن يجعل ما قدموه لي في موازين حسناتهم يوم القيامة .

ويبقى فئة من الزملاء الأفاضل كان لهم اهتمام خاص بالكتاب، فلم يكتفوا بالاتصال، بل حرصوا على مناقشتي، ومحاورتي في عدد من قضايا الكتاب، وتزويدي بعدد من الملاحظات، ومن هؤلاء الأفاضل :

١- الأستاذ الدكتور صالح بن حسين العايد الأمين العام للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، فقد تفضل بإعطائي نسخة من الكتاب بعد تعليقه عليها.

٢- الدكتور عبدالله بن محمد الحكمي عضو هيئة التدريس بكلية أصول الدين بالرياض، فقد أكرمني بعدد من ملحوظاته القيمة.

٣- الدكتور أحمد بن عبدالله الباتلي الأستاذ المشارك في كلية أصول الدين بالرياض، فقد كتب مقالاً في صحيفة الرياض تحدث فيه عن الكتاب، وفكرته، ودعا إلى تعميم هذه الفكرة في تخصصات اللغة العربية الأخرى، إضافة إلى ما تطف به من ثناء، وتكرم به من ملحوظات.

٤- الشيخ محمد بن إبراهيم الشيبان، الذي أتخفني بعدد من الملحوظات أملاها عليّ بالهاتف، ثم أرسلها مكتوبة.

٥- الدكتور عبدالله بن سليم الرشيد عضو هيئة التدريس بكلية اللغة العربية، إذ أكرمني بخطاب رقيق شفعه بملحوظات أفدت منها.

٦- فضيلة الشيخ عبد العزيز بن محمد السدحان الذي تفضل عليّ بملحوظات مكتوبة .

٧- الأخت الفاضلة منى بنت إبراهيم المديش، فقد كتبت مقالاً عن الكتاب في مجلة الحرس الوطني، ضمته عدداً من الملحوظات القيمة، والمقترحات النافعة، انتفعت بها، وعدلت عدداً من مواضع الكتاب في ضوئها.

٨- الأخ العزيز الشيخ يوسف بن عبدالله العليوي الذي زودني بعدد من الملاحظات المهمة نتيجة دراسته للتوجيه البلاغي في المؤلفات البلاغية في القرنين السابع والثامن الهجريين في أطروحته للماجستير.

٩- الأخت الفاضلة الجوهرة آل جهجاه التي كتبت مقالاً في جريدة الجزيرة بتاريخ ٢٧/١٠/١٤٢٥هـ تعليقاً على ما ورد في صفحة الإهداء .
فللجميع مني أجزل الشكر، وأصدق الدعاء.

وها أنذا أقدم هذه الطبعة، وقد أجريت على الطبعة الأولى تعديلات أفدتها من الزملاء الأفاضل، وما بدا لي بعد صدور الكتاب من ملحوظات. ولا أنسى التنبيه إلى أن بعض الملحوظات التي وصلت إليّ تتطلب أعمالاً علمية مستقلة؛ لأنني آثرت أن يكون هذا الكتاب مدخلاً كما ينص عنوانه .
والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه أبو علي

محمد بن علي الصامل

في الرياض العامرة

١٤٢٦/٢/٥هـ

العنوان البريدي :

المملكة العربية السعودية

ص . ب ٣٤١٢٧٥ - الرياض ١١٣٣٣

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله الذي جعلنا خير أمة أخرجت للناس، وبعث فينا مجتبي رسله، ومصطفى أنبيائه، وشرع لنا الاقتداء بهديه، والاهتداء بسنته.

وصلّى الله وسلم على من بلغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمة، وحثّ على التمسك بسنته، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن التزام المسلم بالمنهج الرباني الذي ارتضاه الله له، وفق منهج السلف الصالح الذي تلقوه عن رسول الله ﷺ، فالتزموا به، وعملوا بتوجيهاته، دون أن يخضعوه لأهواء شخصية، أو مآرب مذهبية، إن الالتزام بذلك المنهج لهو من حسن إسلام المرء، ومن بواذر توفيق الله له.

وحرصاً على الالتزام بمنهج السلف الصالح، وخدمة التخصص الذي أنفقت فيه من عمري سنين، وشعوراً بالمسؤولية أمام الله عز وجل في تقديم ما أراه نافعاً. من أجل ذلك كله كانت فكرة الدعوة إلى منهج بلاغي يخدم مذهب أهل السنة والجماعة في أبواب الأسماء والصفات، والإيمان، واليوم الآخر، ومسائل الغيبيات، وسائر مسائل الاعتقاد فكرة ترادوني منذ أمد، وذلك لما رأيت أن علم البلاغة قد انحرف مساره عند بعض العلماء، وصار باباً لهم ولجؤوا من خلاله، فخدموا به معتقدهم، وطوعوه لتأويل ما يخالفهم.

وأهل السنة -لا جرم- أولى بعلم البلاغة من غيرهم، فهو المعين على معرفة إعجاز القرآن، والمبين لفصاحته، وبلاغته، وبه يكون تمام الإيمان، ولكن هذا العلم -مع الأسف الشديد- أصبح وكأنه من علوم المعتزلة المقصور عليهم، وذلك لكثرة تأليفهم فيه، واستغلالهم إياه، صار كثير من أهل السنة المعاصرين يجفون البلاغة، لما رأوه فيها من مصادمة لاعتقاد أهل السنة.

وقد رأيت أن الدعوة إلى منهج بلاغي يلائم معتقد أهل السنة من الأمور اللازمة التي تأخر عنها المشتغلون في البحث البلاغي، فآثرت طرحها، وكنت أكثر من الحديث عن هذا الموضوع مع زملائي، وأمام طلابي، وحين عرض عليّ -مشكوراً- نادي القصيم الأدبي المشاركة في نشاطه الثقافي، رأيت أن يكون موضوع المحاضرة: (بلاغة أهل السنة)، فكتبت هذا البحث، وألقيت ملخصاً له في مساء يوم الأحد ١٤١٦/١/٦هـ، وتلقيت مجموعة من الأسئلة والتعليقات، أفدت منها فائدة طيبة، كما حرصت على إطلاع بعض أفاضل الزملاء على هذا البحث، فاستررت بلحوظاتهم، وسددت النقص، وقومت المعوج.

ويسعدني -اليوم- أن أقدمه بعنوان: (المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة) أقدمه للقراء الكرام بعد أن أعدت فيه النظر، لعله يكون نافعاً لي، وحافزاً لغيري لإتمام هذه الدعوة بإجراء دراسات مستفيضة تخدم القرآن الكريم، والسنة المطهرة وفق الفهم الشرعي الصحيح الموافق لمعتقد أهل السنة، لنظفر بدراسة بلاغية نافعة خالية من المخالفات العقدية.

هذا ولما كان كل عمل بشري معرضاً للنقص والخلل، فإني على يقين أن هذا البحث لا يخلو من نقص أو خلل، وأملني في الله أولاً أن يعفو عما زلّ به القلم، ويغفر عما وقع من خلل، ثم أملني ممن يتكرم بقراءته أن يهدي إليّ عيوبي فيه، لأدعوه بظهر الغيب، فالؤمن مرآة أخيه.

وقبل أن أترك القلم أود أن أشكر جميع الزملاء الأفاضل وأخص منهم: الأستاذ الدكتور أحمد محمد علي، والأخ الزميل الصديق الدكتور عبدالله بن صالح العريني، والأخ العزيز فضيلة الشيخ عبدالمحسن بن عبدالعزيز العسكر، على ما أبدوه من نصح وتشجيع، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين والحمد لله رب العالمين.

وكتبه أبو علي / محمد بن علي الصامل

بعد مغرب يوم الاثنين ١٤١٧/٤/٥هـ في مدينة الرياض الزاهرة

وقفة مع العنوان : (مدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة) :

ليس الغرض من هذا العنوان الوقوف على أساليب أهل السنة في كلامهم ،
والحكم على بلاغتهم فيها ، وإنما المقصود الدعوة إلى إبراز رأي أهل السنة في
البلاغة العربية بدءاً من الفكرة وتأليف الكتاب وانتهاءً بتحليل النصوص
وتوجيهها في ضوء البحث البلاغي ، وتطويرها لخدمة المعتقد.

ولهذا سينصب الحديث في عدد من المباحث هي :

- ١ - فكرة الدعوة إلى بلاغة أهل السنة وأسباب ذلك.
- ٢ - تحديد مفهوم أهل السنة.
- ٣ - انتماءات أشهر علماء البلاغة العقدية من خلال كتبهم البلاغية.
- ٤ - وجوه خدمة المعتقد في البحث البلاغي.
- ٥ - أثر العجمة في الانحراف العقدي.
- ٦ - نماذج للتوجيه البلاغي المخالف لمنهج أهل السنة ، وبيان رأي أهل السنة فيه.
- ٧ - الاحتكام إلى قوانين اللغة أصل من أصول بلاغة أهل السنة.
- ٨ - الانفلات من قوانين اللغة يوقع في مزالق خطيرة في توجيه النصوص.
- ٩ - الموقف من المخالف.
- ١٠ - المواصفات التي تحدد منهج البلاغة عند أهل السنة.

فكرة التأصيل لمذهب أهل السنة في البلاغة

إن مما يثير الاستغراب أن يدعى لتأصيل علم نشأ وترعرع في أحضان القرآن الكريم، بل إن غاية هذا العلم هي الكشف عن أعظم مناحي الإعجاز القرآني، منحى وقع فيه التحدي، ذلكم هو: نظم القرآن.

فإذا كان الأمر كذلك، فما الحاجة للتأصيل؟ وهو الذي يسعى لربط هذا العلم بجذوره، والعلاقة والتأصيل واضحان للعيان.

إن من أهم الأسباب التي ألحت على الكاتب بضرورة التأصيل الخاص لهذا العلم هو ما أصاب علم البلاغة إذ انخرط مساره، وارتدت وسائله على غايته، فبدلاً من أن يكون معيناً على توضيح معاني القرآن الكريم، والكشف عن أسرار النظم، إذا به يصرفها عن وجهها الصحيح إلى معانٍ ليست مرادة، فصارت البلاغة عند كثير من العلماء المتأخرين مطيئةً لصرف آيات الكتاب عن معناها المراد إلى معانٍ يريدونها هؤلاء تتلاءم مع رغباتهم؛ ليسملوا - ما يرغبون - من مصادمة هذه النصوص لمعتقداتهم.

ومما ساعد على الحماسة لهذه الدعوة أمور أجملها فيما يلي:

١ - قلة من ينطبق عليهم وصف أهل السنة بمعناه الخاص من المشاركين في البحث البلاغي.

٢- إبراز جهود بعض الفرق بصورة ظاهرة كالمعتزلة^(١) والأشاعرة^(٢). سواء أكان ذلك في إبراز جهدهم في نشأة البلاغة في كتب تاريخ البلاغة، أو بتخصيص دراسات لهم، أو فيهم.

٣- شيوع كثير من المخالفات العقدية في كتب البلاغة التي يدرسها أبناؤنا، مثل: التلخيص والإيضاح للخطيب القزويني، والمفتاح للسكاكي، وكذلك في كتب التفسير التي تسلك الاتجاه البلاغي أو تجنب إليه، كالكشف للزمخشري، ومفاتيح الغيب للرازي، وتفسير البيضاوي، وتفسير أبي السعود، وروح المعاني للألوسي، والتحرير والتنوير لابن عاشور... إلخ.

٤- تعمّد كثير من المعتزلة خدمة معتقدهم بتوجيه النصوص بلاغياً، وظهور التعسف في هذا الجانب، وعند التأمل وإعمال القواعد البلاغية التي وضعوها بأنفسهم يظهر لنا أنهم خالفوا منهجهم في هذه القضية أو تلك، ويكون الصواب موافقاً لما يعتقده أهل السنة.

٥- أنه استقر في أذهان بعض طلبة العلم الشرعي ارتباط البلاغة بالمعتزلة والأشاعرة، وأنها لم تقم إلا بهم، وأن إخراجها من دائرتهم كإخراج السمك من الماء.

(١) ينظر على سبيل المثال: المنحى الاعتزالي في البيان وإعجاز القرآن لأحمد أبوزيد، مكتبة المعارف، الرباط، ط ١، ١٩٨٦.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة للدكتور منير سلطان، طبعة منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٧٧م.

وينظر: الدراسات البلاغية الكثيرة التي جرت على تفسير البيضاوي وحواشيه.

٦- حظيت كثير من كتب المعتزلة والأشاعرة بانتشار بين طلبة العلم، لأنها وجدت من يهتم بها تحقيقاً وطبعاً ونشراً، ولهذا صارت هي المصادر الأولى لدراسة البلاغة في كثير من المؤسسات العلمية التعليمية، ويمكنك التحقق في ذلك حين تتابع طبعات التلخيص، والإيضاح^(١) للخطيب، وأسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز^(٢) لعبد القاهر، والكشاف للزمخشري.

٧- لم تحظ الكتب التي تتفق -إجمالاً- مع منهج أهل السنة، مثل تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، وبيان إعجاز القرآن للخطابي، أو الكتب التي هي أقرب إلى منهج أهل السنة مثل: بديع القرآن، وتحرير التحرير لابن أبي الإصبع، والمثل السائر لابن الأثير، والمصباح لبدر الدين بن مالك، والبيان للطبري، لم تحظ هذه الكتب بمثل ما حظيت به كتب تلك الفرق.

٨- قلة التنبيه على المخالفات العقدية من البلاغيين.

٩- ولما كانت البلاغة صنو الأدب، وقرينة النقد، وحيث إن الأدب والنقد قد حظيا باهتمام الدارسين الغيورين، فكانت الدعوة إلى الأدب الإسلامي، وإلى المنهج الإسلامي في النقد، وقد وجدت هذه الدعوة قبولاً، وهياً الله لها الانتشار، وكان هذا الأمر معيناً على انتشار الدعوة إلى تخليص الأدب مما يشوبه ويكره من أمور مخالفة للإسلام.

(١) طبع التلخيص عدداً من الطباعات سواء أكان مفرداً أم بشرح البرقوق أم مع شروح التلخيص المتعددة وكذا الإيضاح بتحقيق مجموعة من أساتذة الأزهر، وبتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، ومع البغية لعبد المتعال الصعيدي.

(٢) وقفت على أكثر من خمس طبعات مختلفة لدلائل الإعجاز لمحيي الدين عبد الحميد، ومحمد رشيد رضا، ومحمد بن تاوريت، ومحمد رضوان الداية، ومحمد عبد المنعم خفاجي، وأخيراً للشيخ محمود شاكر.

كان ذلك دافعاً لإثارة الدعوة إلى تخليص البلاغة مما يشوبها من مخالفات عقدية، فالحاجة إلى ذلك مشابهة لحاجة الأدب والنقد، إن لم تكن أشد. وكان نجاح الدعوة إلى أدب إسلامي، وإلى توجه إسلامي في النقد مشجعاً على هذه الدعوة لتقتدي البلاغة بقرينها الأدب والنقد.

تحديد مفهوم أهل السنة:

من المقصود بأهل السنة؟

يستخدم مصطلح أهل السنة ويراد به مجموعة من الدلالات:

- ١- كل من ينتسب للإسلام ما عدا الرافضة.
- ٢- ما يقابل المعتزلة فيدخل فيه الأشاعرة والماتريدية.
- ٣- المعنى الخاص، وهو إطلاقه على السلف الصالح أصحاب الحديث والأثر أو الفرقة الناجية.

فالدلالة الأولى والثانية من الإطلاق العام لهذا المصطلح على تفاوت بينهما، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "لفظ أهل السنة يراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة، وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة، فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى، ويقول إن القرآن غير مخلوق، وإن الله يُرى في الآخرة، ويثبت القدر، وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة"^(١)، وأكثر من يستعمل هذا المصطلح بهذا المفهوم الرافضة، حيث يجعلون المسلمين سنة وشيعة، فالشيعة

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم: ٢٢١/٢، نشر جامعة الإمام

لهم، والسنة لغيرهم، مع أنهم يطلقون على أهل السنة مصطلحات أخرى كالنواصب والجمهور وغيرهما.

وأما الدلالة الثالثة دلالة المفهوم الخاص^(١)، وهو إطلاقه على أهل السنة المحض من السلف الصالح، أو الفرقة الناجية، فهو الإطلاق الصحيح وهو المراد في هذا البحث، لأن كل فرقة غير أهل السنة تميزت بمصطلح خاص بها يميزها عن غيرها.

والتعريف المراد هو أن: "أهل السنة هم الذين اعتصموا بكتاب الله تعالى وسنة نبيهم ﷺ في عقائدهم، وسائر أصول دينهم، ولم يعارضوا نصوصها بالعقل أو الهوى، وتمسكوا بما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من دعائم الإيمان وأركان الإسلام"^(٢).

وهناك مصطلحات أخرى تطلق على أهل السنة بالمعنى الخاص، وهذه المصطلحات هي: (أصحاب الحديث والأثر، والسلف الصالح، والفرقة الناجية، والطائفة المنصورة)^(٣).

على مَنْ يُحكم بالسنية؟ أعلى الرجال أم على المؤلفات؟

الأصل أن يكون هذا الوصف للرجال، ولكنني رأيت أن أجعل حديثي عن إمكان إطلاق هذه الصفة على المؤلفات البلاغية بالدرجة الأولى، وذلك لأسباب منا:

(١) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، تأليف عثمان بن علي بن حسن: ٢٩٩/١-٣٠٠، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤١٢هـ.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدويش: ١٧٧/٣، مكتبة العبيكان، ط ٢، الرياض ١٤١٢هـ.

(٣) ينظر: منهج الاستدلال: ٣٢/١، ٣٤، ٣٦.

- ١- أن غرضي هو إبراز منهج أهل السنة في البلاغة، وليس الغرض تعداد الأعلام وتصنيفهم.
 - ٢- أنه ربما لا يتيسر الوقوف على الحكم القاطع على معتقد الرجل عند المترجمين له، وينظر على سبيل المثال: ابن المعتزل (٢٩٦هـ)، وعلي بن عبدالعزيز الجرجاني (٣٩٢هـ)، وابن رشيق القيرواني (٤٦٣هـ)، وضياء الدين بن الأثير (٦٣٧هـ)، وعبدالواحد الزملكاني (٦٥١هـ).
 - ٣- أنه ربما تُسبب علم من أعلام اللغة إلى إحدى الفرق، وفي مؤلفاته ما يخالف ذلك، كأبي هلال العسكري (٣٩٥هـ)، والطوفي (٧١٦هـ).
- فأبو هلال نسب إلى التشيع^(١)، بسبب مجيء عبارة (عليه السلام) بعد اسم أمير المؤمنين: علي رضي الله عنه، مع أن هذه العبارة قد تكون من زيادة بعض النساخ كما هو واضح من حواشي كتاب الصناعتين، قالوا: ولأن العاملي ترجم له في كتابه أعيان الشيعة^(٢)، ونقول كذلك إن العاملي ترجم لطائفة من الصحابة، ولكثير من أعلام السنة على مرّ القرون، فهل نجعلهم في عداد الشيعة؟! أما الطوفي فقد نفى عنه هذه التهمة كثير ممن درسوا بعض كتبه وحققوها مثل: الدكتور عبدالله التركي في تحقيقه لشرح مختصر الروضة^(٣)، والدكتور محمد بن خالد الفاضل في تحقيقه لكتابه: الصعقة الغضبية على منكري العربية^(٤).

(١) ينظر: مقدمة محقق كتاب: الحث على طلب العلم لأبي هلال العسكري، تحقيق الدكتور مروان قباني، ص ١٣-١٤، المكتب الإسلامي ط ١، بيروت ١٤٠٦هـ.

(٢) أعيان الشيعة للعاملي: ١٥٤/٢٢.

(٣) شرح مختصر الروضة للطوفي، تحقيق الدكتور عبدالله التركي: ٣٦، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ.

(٤) الصعقة الغضبية، للطوفي، تحقيق الدكتور محمد بن خالد الفاضل، ٩٥-١٤٠، مكتبة العبيكان، الرياض.

٤- أن بعض الأعلام ينسب إلى بعض الفرق، ويكون موافقاً لأهل السنة في كثير من الأبواب، ومخالفته لهم في مواضع قليلة، فهل يُعدُّ من الفرقة التي يُنسب إليها أو إلى التي يوافقها في كثير من آرائها، ويمكن التمثيل على ذلك بالباقلاني، فهو رأس من رؤوس الأشاعرة، قال عنه الإمام الذهبي: "كان سيفاً على المعتزلة والرافضة، والمشبهة، وغالب قواعده على السنة"^(١)، فكونه أشعرياً لا يمنع الإفادة مما وافق فيه أهل السنة، كما سيأتي الحديث عن التعامل مع المخالف.

٥- أن العَلَم قد يمر بمراحل في معتقده، فقد يكون في بداية حياته معتزلياً أو أشعرياً، ثم يتحول إلى السنة، فإذا جعلنا الأعمال بالخواتيم، فهل نجعل مؤلفاته قبل تحوله إلى السنة ممثلة لرايه أم أننا نحكم عليها بخلاف حكمنا عليه؟، ولهذا فالأسلم -والله أعلم- هو النظر إلى العمل وليس إلى الشخص وحده. ويمكن التمثيل على ذلك بأبي الحسن الأشعري، وبالفخر الرازي، فأبو الحسن الأشعري مرّ بثلاث^(٢) مراحل في العقيدة. المرحلة الأولى: مرحلة الاعتزال، اعتنق فيها مذهب المعتزلة أربعين عاماً، ثم رجع عنه وصرّح بتضليل المعتزلة، وبالغ في الرد عليهم.

(١) سير أعلام النبلاء: ١٧/١٩٣.

(٢) القواعد المثلى في الأسماء والصفات الحسنى، للشيخ محمد العثيمين: ٨٠-٨١، وينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ٧٢/٤، ٤٧١/١٦.

وقد قيل: إن رجوع أبي الحسن الأشعري إلى مذهب أهل السنة رجوع مجمل، ينظر: العقيدة السلفية في كلام رب البرية، عبدالله بن يوسف الجديع، ص ٢٦٧-٢٦٩.

المرحلة الثانية: مرحلة بين الاعتزال المحض، والسنة المحضة سلك فيها طريق أبي محمد عبدالله بن سعيد بن كلاب.

المرحلة الثالثة: مرحلة اعتناق مذهب أهل السنة والحديث كما قرره في كتابه "الإبانة عن أصول الديانة"، وهو من آخر كتبه.

أما الفخر الرازي، فيقول عنه الدكتور عبدالرحمن المحمود: "فلما كان آخر حياته صرح بترجيحه لمذهب السلف، وذلك في كتابيه المتأخرين: المطالب العالية، وأقسام اللذات، ثم في وصيته قبل وفاته"^(١)، ثم نقل نماذج من تصريحاته.

ولو وقفنا على تفسيره المعروف أو كتابه: (نهاية الإعجاز) لوجدنا فيهما مخالفات لمذهب السلف، فقد قال عنه الذهبي: "بدت من تواليفه بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن السنة، توفي على طريقة حميدة، والله يتولى السرائر"^(٢)، ثم نقل نصاً من وصيته.

ولذلك فالحكم على كتبه سيكون مختلفاً عن الحكم عليه نفسه. ولهذه الأسباب، ومن هذا المنطلق رأيت أن أتعامل مع الكتب دون إغفال أصحابها إن وجدت تصريحاً بمعتقدتهم، أو استطعت معرفة ذلك من القرائن.

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة، للدكتور عبدالرحمن المحمود: ٦٧٤/٢، مكتبة الرشد،

الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، الرياض.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٥٠١/٢١، ٥٠١.

الانتماءات العقيدية

لأشهر علماء البلاغة من خلال كتبهم البلاغية

إن معرفة القارئ لمعتقد المؤلف لا تعني انصرافه عن قراءة المؤلف بمجرد وقوفه على معتقده المخالف لمعتقد القارئ، ولكن تلك المعرفة تسهم في إدراك القارئ لمكامن الدس، وانتباهه لمواضع التأويل والتحريف، والقارئ الحصيف يأخذ الحق ممن كان، ويدع الباطل مهما كانت منزلة من يذكره، وقد بينت ذلك في الحديث عن الموقف من المخالف.

وقبل الشروع في الحديث عن انتماءات البلاغيين العقيدية أودُّ التنبيه إلى الصعوبة البالغة في الحكم على شخص بعينه، كما أشرت إلى ذلك في بداية هذا البحث. ومنهجي في عرض هذا الموضوع أنني أحيل على موضع الإشارة إلى معتقد هذا العلم أو ذاك في كتب التراجم أو غيرها، وربما أحلت على مواضع من الكتاب البلاغي لذلك العلم، وأبين ما وافق معتقد أهل السنة أو ما خالفه. وسيكون عرض أولئك البلاغيين مرتباً حسب وفياتهم حرصاً على التدرج التاريخي.

يدرك المتتبع لنشأة التأليف البلاغي، أنه بدأ في أوائل القرن الثالث الهجري بصورة اجتهادات متفرقة، ولكنه ظهر على هيئة مؤلف عند أبي عبيدة معمر بن المنشى (٢١٠هـ) في كتابه مجاز القرآن^(١)، ولهذا يعدّ هذا الكتاب من أوائل المؤلفات البلاغية، وذلك لثلاثة أسباب:

(١) طبع بتحقيق الدكتور فؤاد سزكين، ونشرته مكتبة الخانجي بمصر، دون تاريخ، وقد كتبت

أولها: أن سبب تأليف الكتاب قضية بلاغية حول التشبيه في قول الله عز وجل في سورة الصافات: ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات: ١٦٥]، والحوار الذي جرى في مجلس الفضل بن الربيع^(١).

وثانيها: أن عنوان الكتاب يحمل كلمة أصبحت مصطلحاً بلاغياً، مع أن أبا عبيدة لم يرد منها ما أراده البلاغيون بعد ذلك، فكل ما في الأمر أن كلمة مجاز عنده إنما تعني التفسير، أو بعبارة أخرى ما تجيزه اللغة.

وثالثها: ما تضمنه الكتاب في مجمله من إشارات لعدد من الموضوعات البلاغية.

وقد وصف^(٢) أبو عبيدة أنه من أهل السنة، واتهم في دينه^(٣)، ونسب إلى الخوارج^(٤)، وألصقت به صفة الشعوبية^(٥)، وقد تصدى لهذه التهم، وفنّدها الزميل الكريم الدكتور محمد الفاضل في رسالته للماجستير، وبيّن أصول هذه الاتهامات، وأنها راجعة إلى مواقف شخصية.

ولم أقف على ما يقدح في عقيدته في كتابه مجاز القرآن.

* * *

(١) ينظر: وفيات الأعيان ٢٣٦/٥.

(٢) الردود والتعقيبات: لأبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ص ٨٣.

(٣) أبو عبيدة ودراساته النحوية لمحمد الفاضل: ٥٠-٥٣.

(٤) المصدر السابق: ٥٣-٥٧.

(٥) المصدر السابق: ٥٨-٦٩.

الجاحظ (٢٥٥هـ): يعده الدكتور طه حسين مؤسس البيان العربي، ولعل السبب في ذلك ما ضمّنه كتابه: (البيان والتبيين)^(١)، من قضايا بلاغية وآراء نقدية إضافة إلى عنوان الكتاب: (البيان) أصبح من بعد اسماً لأحد علوم البلاغة الثلاثة، و(التبيين) أو (التبيين) هو غاية البلاغة ومقصدها.

ولم يقتصر إسهام الجاحظ في التأليف البلاغي على كتابه السابق، فله كتاب آخر أعظم شأنًا، وأكثر قرباً من البلاغة الخالصة، ذلكم هو كتابه (نظم القرآن) الذي يظهر من عنوانه، ومن إحالته عليه^(٢) أنه خاص ببلاغة القرآن، وأن سبب تأليفه ليثبت أن إعجاز القرآن ببلاغة نظمه، وليس بالصرفة كما ذهب إليه أستاذه^(٣) إبراهيم بن سيار النظام، وليس جهد الجاحظ البلاغي منحصرًا في البيان والتبيين، بل له إشارات مبثوثة في الحيوان، والعثمانية وغيرها.

ومعرفة معتقد الجاحظ لا تحتاج إلى جهد، فهو من كبار المعتزلة، بل إن إحدى فرق المعتزلة نسبت إليه وهي: "الجاحظية"^(٤).

(١) ينظر ما قاله عبدالسلام هارون رحمه الله في اسم الكتاب من روايته عن الجاحظ، لفرج بن سلام، كناشة النوادر، لعبدالسلام هارون: ٣٠٩، وينظر: تصريح عبدالسلام هارون في قطوف أدبية حول تحقيق التراث: ٩٧-٩٨، وقد وعد بتصحيح اسم الكتاب إلى البيان والتبيين.

(٢) الحيوان للجاحظ: ٨٦/٣.

(٣) ينظر مثلاً: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي: ١٤٤، ١٤٦-١٤٧، والمعجزة الكبرى لأبي زهرة: ٧٧، ٨٢، ٨٣، وفي الرد على القائلين بالصرفة، ينظر: نكت الانتصار: ٢٨٦-٣٠٦.

(٤) ينظر: الفرق بين الفرق للبغدادى: ١٦٠.

ومما يحسن التنبيه إليه عند الجاحظ ثلاثة أمور:

الأول: أن ما أورده في كتابه نظم القرآن ليس بين أيدينا حتى نأخذ نماذج من خدمته لمعتقده في آرائه البلاغية، وتحليلاته للنصوص.

الثاني: أن خدمته لمعتقده الاعتزالي ظهرت في حديثه^(١) عن تقسيم الخبر إلى ثلاثة: صادق، وكاذب، وليس بصادق ولا كاذب، وهذا ينطلق من أحد أصول الاعتزال الخمسة، وهو: (المنزلة بين المنزلتين).

الثالث: ما أودعه في كتبه عامة، وكتبه البلاغية الأدبية بوجه خاص من نصوص ماجنة، أو مبالغات كاذبة، أو طرائف مختلفة، أراد من ورائها إضحاك القارئ، فوقع في بعض المحاذير، وهذا لا يتلاءم مع وقار المسلم وحشمته.

ذلك كله لا يجعلنا نغفل ما يتميز به الجاحظ من رشاقة في الأسلوب، وحسن في السبك، وبراعة في التصوير، فمن الإنصاف والعدل أن نشير إلى تميزه الأدبي وقدرته الفنية، وهذه وسائل إذا استخدمت في سبيل الخير كانت ذخراً لصاحبها، وإن استعملت في سبيل الشر كانت وبالاً عليه.

كما لا يفوتني أن أشيد بما انتقاه الجاحظ من نصوص بعض البلغاء، ومواقف بعض الفصحاء، مما لا يستغني عنه باحث راصد لتاريخ البلاغة.

* * *

ابن قتيبة (٢٧٦هـ): يعد ابن قتيبة حلقة وصل مهمة في تأريخ البحث البلاغي؛ لأنه يمثل مرحلة غفل عنها كثير من المؤرخين لنشأة البلاغة، إذ

(١) تلخيص المفتاح، ومختصر السعد، ومواهب الفتاح، وعروس الأفراح (شروح التلخيص:

يشيدون ب بدايات الجاحظ ، ويقفزون إلى جهد ابن المعتز ، وإسهام ابن قتيبة يمثل مرحلة تجميع ما تفرق عند الجاحظ ، وتنظيم القضايا البلاغية وترتيبها وتبويبها ، وإضافة قضايا مهمة ، وربط ذلك كله بالدفاع عن القرآن الكريم ضد الطاعنين فيه ، وهو بهذا سابق لابن المعتز متقدم عليه .

وكتاب : (تأويل مشكل القرآن) حوى كثيراً من الموضوعات البلاغية التي اتكأ عليها ابن قتيبة لينبري للدفاع عن القرآن ضد الطاعنين فيه بالزيادة ، أو التكرار ، أو المجاز ، أو غيرها مما هو وثيق الصلة بالبحث البلاغي .

ومع إقراره بالمجاز إلا أنه وظفه لخدمة معتقده السني وقد وصفه ^(١) شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه خطيب أهل السنة كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة ، والذي أكد ذلك وقرره الدكتور علي بن نفيح العلياني في كتابه القيم (عقيدة الإمام ابن قتيبة) ^(٢) .

هذا وإن موقف الإمام ابن قتيبة من إثبات صفة الكلام لله عز وجل ونفي حملها على المجاز ، واستدلالة على هذا باللغة نفسها وتراكيب الكلم ، كل ذلك يؤكد ما يتمتع به الرجل من قدرة علمية ، وانتماء عقدي سليم ، فقد قال رحمه الله عند قوله تعالى في سورة النساء : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ : إن أفعال المجاز لا تخرج منها المصادر ولا تؤكد بالتكرار ، ثم بين أن مجيء المصدر (التكليم) مؤكداً للفعل (كلم) ينفي عنه المجاز ، فيكون كلام الله حقيقة ، دون أن يخوض في حقيقة هذا الكلام وكيفيته ، ودون أن يشبه أو يمثل .

(١) ينظر : مقدمة كتاب عيون الأخبار : ٢٠/١ .

(٢) عقيدة الإمام ابن قتيبة : ٢٦١ .

وقد أبرز جهود ابن قتيبة البلاغية عدد من الباحثين، منهم مؤلف هذا الكتاب، إذ كانت رسالته للماجستير بعنوان: (البحث البلاغي عند ابن قتيبة)^(١).

هذا ولم يسلم ابن قتيبة من بعض التساهل في ذكر نصوص أدبية تضمنت شيئاً مما يخدش الحياء، وبخاصة في كتابه عيون الأخبار.

* * *

عبدالله بن المعتز (٢٩٦هـ): الذي ألف كتابه: (البديع سنة ٢٧٤هـ) وليس في كتب التراجم التي وقفت^(٢) عليها ما يصرح بمعتقد الرجل، غير أنني لحظت أنه في باب الاستعارة لم يذكر فيه ما يخدش المعتقد، وظهر تأدبه مع القرآن الكريم حين عرض للنوع الخامس من البديع الذي سمّاه (المذهب الكلامي)، فقال: "هذا باب ما أعلم أنني وجدت في القرآن منه شيئاً، وهو ينسب إلى التكلف، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً"^(٣)، وقد كان يعرض أمثلة لأنواع البديع التي أوردها في كتابه مبتدئاً بالقرآن الكريم في جل الأنواع، وهذا يلائم منهجه الذي سار عليه، ليؤكد ما ذكره من أن المتأخرين لم يخترعوا البديع، وإنما هو موجود في القرآن الكريم، وأشعار العرب الأقدمين، وكلام الصحابة ومن بعدهم.

(١) البحث البلاغي عند ابن قتيبة، لمحمد بن علي الصامل، رسالة ماجستير، مرقونة على الآلة الكاتبة، مقدمة لقسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي، كلية اللغة العربية بالرياض، ١٤٠٥هـ.

(٢) ينظر: تاريخ بغداد: ١٠/٩٥-١٠١، ووفيات الأعيان: ٣/٧٦-٨٠.

(٣) البديع: ٥٣.

ومما يمكن يمكن التنبيه عليه مما يعدّ مأخذاً لا يتلاءم مع منهج أهل السنة البلاغي^(١) - كما أراه - تساهله في إيراد بعض النصوص المشتملة على الفحش في بابي: الكناية، والتعريض، والتشبيه.

* * *

محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (٣٢٢هـ): له كتاب عيار الشعر^(٢)، ينتهي نسبه إلى علي عليه السلام^(٣)، ولم أقف في ترجمته على ما يكشف النقاب عن معتقده، ولكن إقامته بأصبهان^(٤) تعطي انطباعاً حسناً عنه، لأن غلاة الشيعة كان مقرهم "قم"^(٥) في تلك الفترة.

ثم إنه اقتصر في كتابه على موضوع الشعر فحسب كما يؤكد ذلك عنوانه، ولم أجد فيه ما يمكن تدوينه في الجوانب العقدية، غير أن الكتاب تسلل إليه ما تسلل إلى كتب الأدب عادة من الشواهد التي تחדش الحياء^(٦)، مع أن الطابع العام للاختيارات الشعرية في الكتاب موفق إلى حد بعيد.

* * *

(١) ينظر: معالم هذا المنهج في ص ١١٩ وما بعدها.

(٢) طبع وحقق عدداً من التحقيقات، من أفضلها - كما أرى - تحقيق الدكتور عبدالعزيز بن ناصر المانع، ونشرته دار العلوم بالرياض، ١٤٠٥هـ.

(٣) معجم الأدباء: ١٧/١٤٣.

(٤) ينظر: مقدمة محقق عيار الشعر (د. المانع)، ص: ١٠-١١.

(٥) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص: ٨٠.

(٦) ينظر مثلاً: عيار الشعر ٢٠٨.

إسحق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب (٣٣٥هـ): له كتاب البرهان^(١) في وجوه البيان، الذي نشر بعضه بعنوان (نقد النثر) ونسب لقدامة، وفي هذه النشرة التي صُدِّرتُ بمحاضرة الدكتور طه حسين عن نشأة البيان العربي، والتي صرح فيها بأنه يشك في صحة نسبة هذا الكتاب إلى قدامة، وأنه ربما يكون لكاتب شيعي ظاهر التشيع^(٢)، وقد صدق حدس طه حسين، إذ ثبت أن الكتاب لأبي الحسين إسحق بن إبراهيم بن وهب الكاتب، وفي الكتاب ما يعين على الشك بأن مؤلفه شيعي، فحين تحدث عن الخبر وذكر أقسامه جعل القسم الثاني منه: "خبر الرسل عليهم السلام، ومن جرى مجراهم من الأئمة الذين قد قامت البراهين والحجج من العقل عند ذوي العقول على صدقهم وعصمتهم، وظهور المعجزات التي لا يجوز أن تكون بنوع من الحيل"^(٣)، ففي هذا الكلام يجعل ابن وهب خبر الأئمة كخبر الرسل من حيث العصمة.

وهذا النص كافٍ في توجيه تهمة التشيع لابن وهب، غير أن محقق الكتاب^(٤) يرجح أنه سني، ويعزو تهمة التشيع إلى نقوله لبعض النصوص^(٥)

(١) طبعه بعد تحقيقه، وتصحيح نسبه، وتصويبه اسمه الدكتور حفني محمد شرف، ونشرته مكتبة الشباب بالقاهرة، د.ت. وهناك تحقيق آخر لكتاب البرهان للدكتور أحمد مطلوب، والدكتورة خديجة الحديثي، وصدر في بغداد.

(٢) نقد النثر: ١٩.

(٣) البرهان في وجوه البيان: ٨٧-٨٨.

(٤) الدكتور حفني محمد شرف.

(٥) ينظر: البرهان لابن هشام: ٢٢، ٤٣.

التي تمثل بعض آراء الشيعة، وسوّغ المحقق ترجيحه بأن المؤلف ذكر في كتابه آراء تخالف ما عليه الشيعة، كالموقف من السلطان^(١) وغيره. أقول قد يكون المؤلف شيعياً، ولكنه ليس من غلاتهم، أو يكون مخالفاً لهم في بعض الآراء، والله أعلم.

* * *

قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ): له كتاب (نقد الشعر)^(٢)، وله كتاب آخر لعله بعنوان: (نقد النثر)، ولكنه غير الكتاب الذي نشر بهذا العنوان^(٣)، وثبت أنه كتاب البرهان لابن وهب، لأن ابن أبي الإصبع^(٤)، وصفي الدين الحلبي^(٥) حين عدّوا المصادر التي اعتمدا عليها ذكرا منها (نقدي قدامة)، وهو يعني أن له كتابين في النقد.

ويحتمل أن المراد بنقد النثر ما ضمنه كتابه: (الخراج وصناعة الكتابة)، فقد أورد في المنزلة الثالثة حديثاً عن البلاغة، وصناعة الكتاب تدور حول موضوع النثر.

ومما قيل في ترجمته أنه برع في الفلسفة والمنطق، وهذا يظهر واضحاً في تقسيمه لأبواب كتابه (نقد الشعر) وموضوعاته.

ولم أقف على ما يرشد إلى انتمائه العقدي، ومما يحسن التنبيه عليه أن قدامة حين تحدث عن معاني الشعر قال:

(١) ينظر: البرهان لابن وهب: ٤٣.

(٢) طبع عدة طبعات من أفضلها طبعة بتحقيق كمال مصطفى، نشر مكتبة الخانجي، ط ٣.

(٣) ينظر: نقد النثر المنسوب لقدامة، بتحقيق طه حسين، وعبد الحميد العبادي.

(٤) ينظر: تحرير التحبير: ٨٧.

(٥) شرح الكافية البديعية: ٣٣٥.

"وعلى الشاعر إذا شرع في أي معنى كان من الرفعة والضعة و الرفث والنزاهة والبذخ والقناعة، والمدح والعضية، وغير ذلك من المعاني الحميدة والذميمة: أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك إلى الغاية المطلوبة"^(١)، وكأنه بهذا النص لا يأبه بغير التجويد الفني وإكمال الحديث عن الموضوع مهما كان فيه من فحش (رفث)، أو بهتان وكلام قبيح (العضية)، وهذا يندرج في مفهوم نظرية الشعر للشعر أو الفن للفن، فالغاية هي التجويد الفني، سواء أكان المعنى محموداً أم مذموماً.

وفي هذه النظرة انفلات من ضوابط الإسلام للشعر^(٢)، وإطلاق هذا القول يبيح لمن أراد أن يقول ما يشاء شريطة أن يبلغ به غايته، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

* * *

علي بن عيسى الرماني (٣٨٦هـ): له كتاب في البلاغة، هو رسالة في بلاغة القرآن عنوانها: (النكت في إعجاز القرآن)^(٣) جعل البلاغة فيه عشرة أقسام:

١- الإيجاز.

٢- التشبيه.

٣- الاستعارة.

(١) نقد الشعر: ١٩.

(٢) ينظر: كتاب الالتزام الإسلامي في الشعر للزميل الكريم الدكتور ناصر الحنين: ١٠٣-١٧٢.

(٣) ينظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ٧٥-١١٣.

٤- التلاؤم.

٥- الفواصل.

٦- التجانس.

٧- التصريف.

٨- التضمين.

٩- المبالغة.

١٠- حسن البيان.

وله كتاب في التفسير ضمّنه كثيراً من آرائه البلاغية، وأظن أن الزمخشري أفاد منه كثيراً.

والرمانى معتزلي متشيع^(١)، قال عنه الذهبي: "كان يقول عليّ أفضل الصحابة، وكان من أوعية العلم على بدعته"^(٢).

ومن خدمته لمعتقده الاعتزالي ما ذكره في باب المبالغة، إذ قال: "الضرب الثاني من المبالغة بالصيغة العامة في موضع الخاصة كقوله تعالى: ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وكقول القائل: أتاني الناس، ولعله لا يكون أتاه إلا خمسة فاستكثرهم، وبالغ في العبارة عنهم"^(٣)، وقد خرّج الآية، وجعلها

(١) ينظر: تاريخ بغداد ١١/١٦، ومعجم الأدباء: ٧٣/١٤، وسير أعلام النبلاء: ١٦/٥٣٣-٥٣٤.

(٢) سير أعلام النبلاء: ١٦/٥٣٤.

(٣) النكت في إعجاز القرآن: (ثلاث رسائل: ١٠٤).

من المبالغة ؛ لينفي ما يتعارض مع رأي المعتزلة بأن الإنسان يخلق أفعاله ؛ ولأن أفعال العباد فيها ما هو قبيح ؛ ولذلك فرأيهم أن: "أفعال العباد المباشرة باتفاق المعتزلة أنها مخلوقة للعباد"^(١)، وهكذا يبدو اتكاء الرماني على موضوع المبالغة ، لينفذ منه لتحقيق مآربه.

ومثال آخر على خدمة الرماني لمعتقده إذ جعل قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رُكُوعُكَ وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًا﴾ [الفجر: ٢٢] من الضرب الثالث من المبالغة ، وأعقبه بقوله: "فجعل مجيء جلائل آياته مجيئاً له سبحانه"^(٢)، قال ذلك لينفي عن الله جل وعلا صفة المجيء.

وفي باب التجانس -عند الرماني- الذي أصبح فيما بعد يعرف بالازدواج عند ابن أبي الإصبع^(٣)، أو المشاكلة عند المتأخرين من البلاغيين، أورد عدداً من الآيات المتضمنة لبعض الصفات، كالاستهزاء، والمخادعة، والمكر، وذكر هذه الآيات في مثل هذا الباب إنما يعني أن إطلاقها على الله جل وعلا ليس حقيقة، وإنما هو من باب المشاكلة والتجانس اللفظي، وأهل السنة يشبتون لله ما أثبتته لنفسه، أو ما أثبتته له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

* * *

(١) المعتزلة وأصولهم الخمسة: ١٦٨.

(٢) النكت في إعجاز القرآن (ينظر: ثلاث رسائل من: ١٠٥).

(٣) تحرير التعبير: ١٥١، وبديع القرآن: ٥٦.

أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (٣٨٨هـ): له كتاب مشابه لكتاب الرماني في حجمه، وعنوانه: (بيان إعجاز القرآن)^(١)، وقد نشر معه ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.

والخطابي من أهل السنة بالمعنى الخاص، وإن أخذت عليه بعض التأويلات، فيذكر أحد الباحثين^(٢) الذين خصوا الخطابي بدراسة مستقلة كان موضوعها: (منهج الخطابي في العقيدة) ذكر في ختامها أن: "الخطابي وافق أهل السنة في كثير من مسائل العقيدة، وأن مخالفته لهم اتضحت بصورة جلية في توحيد الأسماء والصفات"^(٣)، ولكن هذه المخالفة ليست مخالفة عناد واستكبار، وإنما هي اجتهاد محتملة للخطأ والصواب"^(٤)، ويعلل الباحث الكريم مخالفة الخطابي لمنهج أهل السنة في توحيد الأسماء والصفات بقوله: "في تقرير الخطابي لتوحيد الأسماء والصفات خالف سلف الأمة في بعض المسائل -مع أنه من أفضل من نقل إلينا مذهب السلف نقلاً صحيحاً- فنفى عن الله -سبحانه- بعض الألفاظ التي لم يرد الدليل بنفيها أو إثباتها ظناً منه أن إثباتها يستلزم التجسيم، كما أنه سلك في إثبات الصفات طريقة مخالفة في معظمها لطريقة

(١) نشر بتحقيق محمد خلف الله، ود. محمد زغلول سلام، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، دار المعارف بمصر.

(٢) هو الشيخ إبراهيم بن عبدالله الحماد، في أطروحته للماجستير، التي تقدم بها لقسم العقيدة في كلية أصول الدين بالرياض، عام ١٤١٥هـ.

(٣) سبقه إلى هذه الإشارة الزميل الكريم الدكتور أحمد بن عبدالله الباتلي، في حديثه عن عقيدة الإمام الخطابي في رسالته الإمام الخطابي وآثاره الحديثية ومنهجه فيها، ص ٩٠.

(٤) منهج الخطابي في العقيدة: ٦٩٦.

سلف الأمة، إذ إنه يرى وجوب أن تكون الصفات ثابتة بطريق الكتاب أو السنة المتواترة، أو الآحاد الذي له أصل في الكتاب أو السنة المتواترة، وما عدا ذلك، فإنه يجب تأويله^(١)، والحق أن الخطابي لم يخالف أهل السنة في حديثه عن كل الصفات، بل "وافق أهل السنة في إثبات بعض الصفات إثباتاً لاثقاً بالله سبحانه، فأثبت العلو، والاستواء، والكلام، واليد، والوجه، والسمع، والبصر، وأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق.

وخالف أهل السنة بتأويل بعض الصفات؛ كالنزول، والإتيان، والمجيء، والضحك، والفرح، والأصابع، والقدم، والساق، والرجل"^(٢).

والذي يهمنا في أثره البلاغي أنه خلا مما يخالف معتقد أهل السنة، بل إنني أعدّ رسالته (بيان إعجاز القرآن) من النماذج التي تمثل بلاغة أهل السنة بالمعنى الخاص.

* * *

أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي (٣٨٨هـ): له كتاب: حلية المحاضرة^(٣)، والرسالة الحاتمية^(٤)، والرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب

(١) منهج الخطابي في العقيدة: ٦٩١.

(٢) المصدر السابق: ٦٩٢.

(٣) طبع الكتاب محققاً مرتين وكلتا الطبعتين ناقصة، لوجود خرم في الأصل المخطوط، ولكن

طبعة الدكتور جعفر الكتاني ١٩٧٩ م، أوفى من طبعة هلال ناجي ١٩٧٨ م.

(٤) طبعت ضمن (مجموعة التحفة البهية) في الأستانة، ١٣٠٢ هـ.

المتنبي وساقط شعره^(١)، وهذه الثلاثة هي المطبوعة من مؤلفاته، وله مؤلفات أخرى ذات صلة بالبحث البلاغي والنقدي - كما يظهر من عنواناتها - وهي^(٢) :
- المجاز في الشعر، والحالي والعاطل، وتقريع الهلباجة في صناعة الشعر،
وسر الصناعة في الشعر.

ولم أقف في ترجمته^(٣) على ما يفصح عن معتقده، ويظهر من الاطلاع على كتبه المطبوعة أنه مطلع على الثقافة اليونانية^(٤)، ويبدو هذا الأمر واضحاً في محاولته رَجْعَ شعر المتنبي إلى أصول فلسفية أرسطوطاليسية، وهذا هو موضوع الرسالة الحاتمية.

كما يظهر من هذه المؤلفات أنها في مجملها تدور حول الشعر وصناعته وبلاغته ونقده.

وقد نبّه الدكتور جعفر الكتاني محقق حلية المحاضرة إلى أمر مهم لحظه على أبي علي الحاتمي يقول فيه: "وأود أن لا أخفي عجبني من ضحالة الثقافة الدينية لدى الحاتمي، أو على الأقل من ضحالة دلالتها على ثقافته من خلال المعروف من مؤلفاته، فإذا استثنينا العبارة التي رواها ابن منقذ عن إعجاب الحاتمي بآية من القرآن، فإننا لا نكاد نعثر له فيما نعرفه له من كتابات على شيء يدل على أنه تأثر بالقرآن سواء في الاستدلال به استدلالاً لغوياً أو في الحفاظ على المعتقدات الدينية، وهو أمر شديد الغرابة بالقياس إلى رجل يكتب عن البلاغة

(١) طبعت بتحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ونشر دار صادر ودار بيروت، ١٣٨٥هـ.

(٢) ينظر: مقدمة تحقيق حلية المحاضرة للدكتور جعفر الكتاني، ص: ١/٧٧.

(٣) معجم الأدباء ١٨/١٥٤-١٧٩.

(٤) مقدمة الدكتور الكتاني: ١/١٦، ٩٧.

العربية التي استهلت في تاريخها بالبحث في مجاز القرآن وإعجازه اللهم إلا تلك الفقرات في تاريخها بالبحث في مجاز وإعجاز القرآن، اللهم إلا تلك الفقرات التي نقلها من القرآن لباعث غير الاستدلال على الإعجاز أو جمال التعبير^(١). ولعل مما يعضد كلام المحقق الكريم أنه لم يرد في كتاب حلية المحاضرة المطبوع من شواهد القرآن على محاسن البديع التي أوردها سوى إحدى عشرة آية، ويمكن الاعتذار لأبي علي بأن موضوعه الحديث عن الشعر، فحاجته إلى الاستشهاد بالقرآن قليلة.

ومع ذلك كله فقد كان إيراد بعض الآيات سبباً في وقوعه في خطأ عقدي خالف به مذهب أهل السنة والجماعة، إذ أورد قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ أَلْمَنَكِرِينَ﴾، وقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤْنَ﴾ ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ ذكرهما عقب بيت عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
وتعليقه^(٢) يفيد أنه يجعل في الآيتين مشاكلة، وهذا فيه تأويل لصفتين من صفات الله هما: المكر، والاستهزاء.

وموضع آخر ذكر فيه قوله سبحانه في سورة فصلت: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ ونقل قولاً للخليل في معنى الاستواء، وأنه الارتفاع، وعقب عليه بقوله: "والوجه أن معنى قوله تعالى ﴿أَسْتَوَىٰ﴾: استولى، وينشدون:

(١) حلية المحاضرة (مقدمة المحقق د. الكتاني): ٩٨/١-٩٩.

(٢) حلية المحاضرة: ٢٨٩/١.

قد استوى بشرٌ على العراق بغير سيف أو دم مهراق^(١)
وهذا فيه تأويل لصفة الاستواء، وعدم اعتداد برأي الخليل، وهو من هو
في معرفة اللغة، والرد عليه بقول الشاعر المجهول ينبئ عن موقف عقدي في
تأويل الاستواء^(٢).

* * *

علي بن عبدالعزيز الجرجاني (٣٩٢هـ): وله كتاب (الوساطة^(٣)) بين
المتنبي وخصومه) ضمنه كثيراً من الآراء البلاغية والنقدية، وذكر المترجمون^(٤)
له أنه فقيه شافعي، ولم يقدح فيه الذهبي^(٥).
ولما كان موضوع كتابه هو التوسط بين المتنبي وخصومه، فإن هذا ربما لا
يعين على معرفة التجاوزات العقدية - إن كان ثم تجاوزات -؛ لأن الموضوع
يدور في فلك الشعر.

بيد أن قضية نقدية مهمة ذكرها القاضي الجرجاني جديرة بالتنبيه عليها،
وهي قوله: "الدين بمعزل عن الشعر"^(٦)، قال ذلك حين تحدث عن فساد
العقيدة في الشعر^(٧)، ليجعل من ذلك حجة للدفاع عن أبي الطيب المتنبي الذي

(١) المصدر السابق: ٣٨٦/١.

(٢) ينظر: كتاب اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم: ٨٨/١، ٩٠، ١٨١/٢.

(٣) طبع عدة طبعات من أكثرها انتشاراً تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي البجاوي،
ونشر دار إحياء الكتب العربية.

(٤) ينظر مثلاً: طبقات الشافعية للسبكي: ٤٥٩/٣-٤٦٢.

(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٧/١٩-٢٠.

(٦) الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٦٤.

(٧) المصدر السابق: ٦٣-٦٤.

وقع في أخطاء رصدتها عليه النقاد، ومهما كان تسويغ هذا القول، فإن الجرجاني -عفا الله عنه- قد زل بهذا القول قلمه، وصارت هذه العبارة مطية سهلة لأنصار ما يسمى: (الفن للفن).

وقد ناقش هذه المسألة مناقشة علمية مفصلة الزميل الكريم الدكتور ناصر الحنين في كتابه القيم (الالتزام الإسلامي في الشعر)^(١) وكذلك الأستاذ الدكتور عبده زايد في كتابه (الأدب الإسلامي ضرورة)^(٢) والدكتور عبدالباسط بدر في كتابه: (مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي)^(٣)، وأفردتها بالبحث الزميل الدكتور عبدالله العريني ببحثه المعنون بـ: اتجاهات النقاد في تحديد موقف القاضي الجرجاني من العلاقة بين الدين والشعر^(٤).

* * *

أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ): له كتاب الصناعتين^(٥)، ويرى بعضهم أن أبا هلال شيعي، ومن أدلته على ذلك، ورود عبارة (عليه السلام) بعد اسم علي عليه السلام^(٦)، وهذه لا تعد دليلاً على تشيعه، لأنه ربما كانت هذه العبارة من

(١) ينظر: الالتزام الإسلامي في الشعر: ٢٩٨-٢٩٩، ٣٠٣-٣٠٧.

(٢) ينظر: الأدب الإسلامي ضرورة للدكتور عبده زايد ص ٨٩-٩٠.

(٣) ينظر: مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي للدكتور عبدالباسط بدر ١٣٠-١٤٠.

(٤) نشر في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد (٣٣) المحرم (١٤٢٢هـ).

(٥) طبع طبعات عديدة من أفضلها تحقيق علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ونشر دار إحياء الكتب العربية، وعلمت أن الشيخ محمود شاكر يحقق الكتاب على نسخة بخط المؤلف.

(٦) ينظر: الحث على طلب العلم، ص ١٣.

إضافات النساخ، ولكنهم يسوقون دليلاً آخر على تشيعه، هو أن العاملي ترجم له في أعيان الشيعة^(١)، وهذا الدليل ليس قطعياً، فليس كل من ترجم لهم العاملي شيعة.

وقد رجح محقق كتاب (الحث على طلب العلم)^(٢) أن أبا هلال شيعي معتدل ويميل إلى الاعتزال^(٣).

وقد وقفت على نص في كتاب الصناعتين يعضد ما رآه المحقق الفاضل من ميل أبي هلال للاعتزال، فقد قال، وهو يتحدث عن أهمية معرفة علم البلاغة وتقديمه: "فينبغي من هذه الجهة أن يقدم اقتباس هذا العلم على سائر العلوم، بعد توحيد الله تعالى، ومعرفة عدله، والتصديق بوعدده ووعيدده..."^(٤)، فهذه ثلاثة من أصول المعتزلة ضمّنها كلامه هي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد.

وأودّ التنبيه إلى ثلاثة مواضع في كتاب الصناعتين:

الأول: أن أبا هلال ذكر في باب المقابلة قول الله جل وعلا في سورة آل عمران: ﴿وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾، ثم قال: "المكر من الله العذاب، جعله الله عز وجل مقابلة لمكرهم بأنبيائه وأهل طاعته"^(٥)، وهو بهذا

(١) أعيان الشيعة: ١٥٤/٢٢.

(٢) هو الدكتور مروان قباني.

(٣) ينظر: الحث على طلب العلم: ١٤.

(٤) كتاب الصناعتين: ص ٢.

(٥) كتاب الصناعتين: ٣٣٧.

يؤول صفة المكر اعتماداً على ما سمّاه المقابلة، وأصبح فيما بعد يعرف بالمشاكلة عند البلاغيين.

والثاني: أنه قال في معرض حديثه عن استعمال ما يبهّم على السامع فهمه "وأما يستبهم فلا يعرف معناه إلا بالتوهم، فهو مثل قول أبي تمام:

جهمية الأوصاف إلا أنهم قد لقبوها جوهر الأشياء

فوجه الاشتراك أن لجهم مذاهب كثيرة وآراء مختلفة متشعبة، لم يدل فحوى كلام أبي تمام على شيء منها يصلح أن يشبه به الخمر، وينسب إليه، إلا أن يتوهم المتوهم فيقول: إنما أراد كذا وكذا من مذاهب جهم من غير أن يدل الكلام منه على شيء بعينه"^(١)، ففي هذا النص إيماء إلى تعدد مذاهب الجهم وتشعبها، مما يوحي بموقف لأبي هلال مخالف للجهم، ولكنه لا يصرح بشيء، ولعل السبب يعود إلى أنه ليس بصدد الحديث عن الشخص لذاته، وإنما عن تفسير كلام أبي تمام.

الثالث: أن أبا هلال حين تحدث -في باب الإيجاز- عن وجوه الحذف ذكر عدداً من الآيات، لم يذكر منها آيات صفات^(٢)، وبخاصة قوله تعالى في سورة الفجر: ﴿وَجَاءَ رُبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، مع أنها من أشهر أمثلة الحذف عند كثير من البلاغيين والنحويين.

أقول: لعل السبب في ذلك يعود إلى أمرين:

(١) المصدر السابق: ٣٤.

(٢) كتاب الصناعتين: ١٨١-١٨٩.

أولهما: أنه اعتمد في هذا الباب خاصة على ما ذكره ابن قتيبة في باب الحذف في كتابه تأويل مشكل القرآن، وقد أثبت ذلك بأدلة علمية في بحثي (البحث البلاغي عند ابن قتيبة)^(١) وموقف ابن قتيبة في هذه الآية واضح جلي، فلا يراها من باب الحذف.

وثانيهما: أنه ليس بالمعتزلي الجلد الذي يأخذ على نفسه خدمة الاعتزال كلما سنحت له الفرصة.

ومما يقوي السبب الثاني أن المآخذ العقدية في كتاب الصناعتين قليلة، ولكن لا بد من التنبيه إليها.

* * *

أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي (٤٠٣هـ): له كتاب: إعجاز القرآن^(٢)، وكتاب: الانتصار للقرآن^(٣)، يشتمل كل منهما على موضوعات بلاغية مهمة.

ذكر الذهبي أن الباقلائي "صنف في الرد على الرافضة، والمعتزلة، والخوارج، والجهمية والكرامية، وانتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري، وقد

(١) ينظر: البحث البلاغي عند ابن قتيبة: ٣٢٨-٣٣١.

(٢) طبع بتحقيق السيد أحمد صقر، ونشر دار المعارف.

(٣) الموجود من هذا الكتاب هو المجلد الأول، نشره فؤاد سزكين مصوراً عن مخطوطة مكتبة قرة مصطفى باشا. وما نشر تحت عنوان: (نكت الانتصار لنقل القرآن) منسوباً للباقلائي بتحقيق الدكتور محمد زغلول سلام، ما هو إلا مختصر للانتصار اختصره محمد بن عبد الله الصيرفي، وترتيب عبد الجليل الصابوني، وهو لا يلتزم بأصل الانتصار.

يخالفه في مضائق، فإنه من نظرائه"^(١)، وأشعرية الباقلاني أشهر من أن يبحث لها عن أدلة، فهو المؤسس الثاني للمذهب الأشعري وفق ما وصفه أحد الباحثين^(٢).

وقد ضمّن كتابيه: إعجاز القرآن، والانتصار للقرآن حديثاً عن إعجاز القرآن الكريم، والرد على الطاعنين في القرآن، وإن كان قد صرّح في كتابه إعجاز القرآن أنه أراد من تأليفه الكشف عن إعجاز القرآن دون الرد على الملاحدة^(٣)، ومع ذلك فقد اشتمل الكتاب على مجموعة من الردود كما سنعرف لاحقاً إن شاء الله.

وأما الانتصار للقرآن، فقد كان دفاعاً عن القرآن ضد كل الشكوك والأسئلة، وفيه ردود وتعقيبات على كثير من الاعتراضات من مختلف الفئات. ومما يحسن التنبيه عليه ما يلي:

أولاً: رده على المعتزلة في قضية القدر المعجز من القرآن^(٤).

ثانياً: رده على أبي هاشم الجبائي المعتزلي في قوله إن إعجاز القرآن كان بسبب أن جبريل أنزله^(٥).

ثالثاً: نقده لكتاب الجاحظ (نظم القرآن) وأنه لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله^(٦).

(١) سير أعلام النبلاء: ١٧/١٩٠.

(٢) هو الدكتور عبدالرحمن المحمود في كتابه: موقف ابن تيمية من الأشاعرة: ٥٤٩.

(٣) ينظر: إعجاز القرآن للباقلاني: ٢٤٥-٢٤٦.

(٤) إعجاز القرآن: ٢٥٤-٢٥٨.

(٥) المصدر السابق: ٢٩٦-٢٩٧.

(٦) المصدر السابق: ٦.

رابعاً: رده على من زعم أن القرآن شعر، وعلى من يفضل الشعر على القرآن^(١).

خامساً: رده على من قال بالصرفة^(٢).

سادساً: رده على من زعم أن ابن المقفع قد عارض القرآن^(٣).

سابعاً: رده على بعض الأشاعرة ممن جعل كون الأحكام الشرعية معللة بعلل موافقة لمقتضى العقل وجهاً من وجوه الإعجاز^(٤).

ثامناً: أخذه بأقوال الأشاعرة في كثير من قضايا إعجاز القرآن، ونقله عنهم، والاعتداد بآرائهم، وكثيراً ما يقول: (قال أصحابنا) ويعني بهم الأشاعرة^(٥).

وبالباقلاني أوتي حظاً واسعاً من العلم وقدرة عجيبة على المناظرة، وينبغي الإفادة من ردوده على الملاحدة، والرافضة، والمعتزلة في قضايا إعجاز القرآن.

* * *

(١) إعجاز القرآن: ٤-٥، ٢١٥-٢١٨، وينظر: نكت الانتصار: ٢٧٢.

(٢) إعجاز القرآن: ٥، ٢٩-٣١، وينظر: نكت الانتصار: ٢٨٦.

(٣) إعجاز القرآن: ٣٢.

(٤) المصدر السابق: ٤٧.

(٥) المصدر السابق: ٢٣، ٣٣، ٤٧، ١٠٧-١١٢، ٢٧٥-٢٢٩-٢٩٠.

محمد بن الحسين الشريف الرضي (٤٠٦هـ): له كتاب: "تلخيص البيان في مجازات القرآن"^(١)، وكتاب "المجازات النبوية"^(٢)، وكتاب "حقائق التأويل في متشابه التنزيل"^(٣).

وصفه الذهبي بأنه نقيب الطالبين^(٤).

ومما يحسن التنبيه عليه أن المجاز عند الشريف الرضي كان مطية لتأويل عدد من الصفات؛ كالاستهزاء^(٥)، والاستواء^(٦)، والوجه^(٧)، والمكر^(٨)، واليدين^(٩)، والنفس^(١٠)، والعين^(١١)، والقبضة، واليمين^(١٢)، والمجيء^(١٣).

* * *

(١) طبع بتحقيق محمد عبدالغني حسن، ونشر دار إحياء الكتب العربية.

(٢) طبع في القاهرة سنة ١٣٥٦هـ.

(٣) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن (مقدمة المحقق ص ٢٣).

(٤) سير أعلام النبلاء: ٢٨٥/١٧.

(٥) تلخيص البيان في مجازات القرآن: ١١٣.

(٦) المصدر السابق: ١١٥، ١٥٣-١٥٤.

(٧) المصدر السابق: ١١٨، ٣٢١.

(٨) المصدر السابق: ١٢٣.

(٩) المصدر السابق: ١٣٣.

(١٠) المصدر السابق: ١٣٥.

(١١) المصدر السابق: ١٦١، ٢٤١.

(١٢) المصدر السابق: ٢٨٧.

(١٣) المصدر السابق: ٣٢٣.

أبو الحسن عبد الجبار الأسد آبادي (٤١٥هـ) الشهير بالقاضي عبد الجبار: له كتابه في إعجاز القرآن^(١)، وهو الجزء السادس عشر من كتاب المغني في أبواب التوحيد والعدل، وله كتاب آخر هو متشابه القرآن^(٢).

أعد الدكتور عبدالفتاح لاشين عنه دراسة^(٣) قيمة جمع فيها آراءه البلاغية من تراثه المنشور.

والقاضي عبد الجبار من رؤوس المعتزلة ومنظريهم، وقد خدم معتقده الاعتزالي من خلال كثير من آرائه البلاغية.

ويكفي أن أدون ما ذكره الدكتور لاشين في خاتمة بحثه عن القاضي عبد الجبار إذ وصفه أنه: "كان أبرع المعتزلة تأويلاً للآيات القرآنية؛ لتطابق مذهبهم"^(٤)، فهذا يدل على قدرة القاضي عبد الجبار على خدمة معتقده من خلال التأويل الذي استخدم فيه كثيراً من أبواب البلاغة كالحذف^(٥)، والتمثيل^(٦)،

(١) طبع بتحقيق أمين الخولي، ونشر وزارة الثقافة بمصر، عام ١٣٨٠هـ.

(٢) طبع بتحقيق الدكتور عدنان زرزور، ونشر دار التراث، القاهرة، وصدر له طبعة أخرى.

(٣) في كتابه بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار وأثره في الدراسات البلاغية، نشر دار إحياء الفكر العربي، والكتاب هو أطروحة الدكتوراه للدكتور عبدالفتاح لاشين.

(٤) بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار: ٧٩٢.

(٥) المصدر السابق: ١٧٨، ٧٣٤.

(٦) المصدر السابق: ٣٠٤، ٦٢٣.

والاستعارة^(١)، والمجاز المرسل^(٢)، والكناية^(٣)، والمشكلة^(٤)، والتورية^(٥)، وهي كما ترى شاملة لعلوم البلاغة الثلاثة.

* * *

الحسن بن رشيق القيرواني (٤٦٣هـ): له كتاب: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده^(٦).

لم أقف في ترجمته^(٧) على ما يبين معتقده، ولكنني رأيته في بابي المجاز، والتجنيس يؤول بعض صفات الفعل لله عز وجل.

ذكر في باب المجاز قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ أَلَمَّكَرِينَ﴾، ثم قال: "ولمّا سمي ذلك مكرًا منه؛ لكونه مجازةً عن مكر"^(٨).

وفي باب التجنيس أورد قوله تعالى: ﴿تُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِّعُهُمْ﴾ النساء:

[١٤٢]، وقوله جل وعلا: ﴿إِنَّمَا لَحْنٌ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ البقرة: ١٤-

[١٥]، وعقب عليها بقوله: "وكل هذه استعارات ومجاز، لأن المراد المجازة،

(١) المصدر السابق: ٢٤١، ٢٩٢.

(٢) المصدر السابق: ٣١٦، ٥٨٠.

(٣) المصدر السابق: ٣٧٧، ٣٧٨.

(٤) المصدر السابق: ٣٩٧، ٤٠٠.

(٥) المصدر السابق: ٤٠٤، ٤٠٦.

(٦) طبع مرات عديدة، من أفضلها تحقيق الدكتور محمد قرقران، ونشر دار المعرفة، بيروت،

١٤٠٨هـ، وكذلك تحقيق الدكتور النبوي شعلان، ونشر دار الخانجي بالقاهرة (١٤٢٠هـ).

(٧) ينظر مثلاً: معجم الأدباء: ١١٠/٨-١٢١، وسير أعلام النبلاء: ٣٢٤/١٨.

(٨) العمدة تحقيق قرقران: ٤٥٧/١.

فزاوج بين اللفظين^(١)، والآيات الثلاث تدخل -عند جمهور البلاغيين- في باب المشاكلة، وإدخالها في بابي المجاز والتجنيس عند ابن رشيق لا يعارض كونها من باب المشاكلة وفق فهم ابن رشيق والبلاغيين.

* * *

أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي (٤٦٦هـ):
له كتاب سرّ الفصاحة^(٢)، وكتاب الحكم بين النظم والنثر^(٣).
لم أقف على نص صريح يبيّن معتقده^(٤)، ولكن يظهر أنه يرى رأي الشيعة، وقد ارتبط بولاء للدولة الفاطمية^(٥)، ونقل عن الشريف المرتضى ودعا له أحياناً بقوله: "نضر الله وجهه"^(٦)، وأحياناً: "رضي الله عنه"^(٧).
ويظهر لي أنه يجمع إلى تشييعه الاعتزال، لأنه أثنى على أهل الكلام وأن ما يرونه هو الأصل والأس^(٨)، ونقل عن

(١) المصدر السابق: ٥٦٢/١، ٥٦٣.

(٢) طبع مرات عديدة منها طبعة بشرح وتصحيح عبدالمعال الصعيدي: ١٣٨٩هـ، وطبعة بتحقيق الدكتور النبوي شعلان، ونشر دار قباء، ٢٠٠٣م.

(٣) ذكره بعض المترجمين له ومنهم ابن شاکر الكتبي في فوات الوفيات: ٢٢٢/٢، وقد ذكر ابن سنان في آخر كتابه سرّ الفصاحة فصلاً عن الفرق بين المنظوم والمنثور.

(٤) ينظر مثلاً: فوات الوفيات: ٢٢٠/٢-٢٢٤.

(٥) كتاب سرّ الفصاحة: دراسة وتحليل، د. عبدالرزاق زايد ص ١٢، مكتبة الشباب، القاهرة، دون تاريخ.

(٦) ينظر: سرّ الفصاحة، ص ١٠.

(٧) المصدر السابق: ٢٨٠.

(٨) المصدر السابق: ٥.

الجبائي^(١)، والقاضي عبد الجبار^(٢)، والعلاف^(٣)، وحديثه عن معنى الكلام^(٤) يطابق رأي المعتزلة، وقد جزم عبد المتعال الصعيدي بأن ابن سنان من المعتزلة^(٥).

* * *

عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (٤٧١هـ): له كتابان من أهم ما ألف في البلاغة العربية هما: أسرار البلاغة^(٦)، ودلائل الإعجاز^(٧)، وله رسالة في الإعجاز هي الرسالة الشافية^(٨).
قال عنه الذهبي: "شيخ العربية، كان شافعيًا عالمًا أشعريًا، ذا نسك ودين"^(٩).

والمطلع على كتبه لا يخفى عليه دفاع عبد القاهر عن آراء الأشاعرة، وردوده على المعتزلة في: دلائل الإعجاز^(١٠)، وتحدث عن قضية اللفظ عند

(١) المصدر السابق: ٤٣/١٠.

(٢) المصدر السابق: ١١.

(٣) المصدر السابق: ٤٣.

(٤) المصدر السابق: ٣٦، ٤٣.

(٥) سر الفصاحة: ٣٠، شرح عبد المتعال الصعيدي.

(٦) طبع مرات عديدة أفضلها تحقيق الشيخ محمود شاكر، ونشر الخانجي.

(٧) طبع مرات عديدة أكثر من الكتاب السابق، وأفضل طبعاته تحقيق الشيخ محمود شاكر، ونشر الخانجي.

(٨) طبعت ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، وطبعها الشيخ محمود شاكر في آخر دلائل الإعجاز.

(٩) سير أعلام النبلاء: ٤٣٣/١٨.

(١٠) ينظر: دلائل الإعجاز: ٣٨.

المعتزلة^(١)، وردّ على القاضي عبد الجبار في قضية اللفظ^(٢)، ويبيّن خطأ المعتزلة في قولهم بالصرف^(٣)، وفي ظنهم أن المزية للفظ^(٤)، وشبهتهم في النظم^(٥)، وتعويلهم على نسق الألفاظ، ثم الاحتذاء والابتداء^(٦).

وقد وقع -غفر الله له- في تأويل عدد من الصفات كالاستهزاء، والمكر، والمخادعة^(٧)، والعينين، واليمين، والمجيء^(٨).

* * *

الخطيب التبريزي (٥٠٢هـ): له كتاب الكافي في العروض والقوافي^(٩)، عرض فيه مجموعة من فنون البديع. ليس في كتب التراجم^(١٠) التي وقفت عليها ما ينص على بيان معتقده، كما أن كتابه خاص بالشعر وما يتصل به من عروض وقافية وبديع، ولم أقف على ما يمكن أن يكشف عن معتقده أو يقدح فيه.

(١) المصدر السابق: ٤٣، ٤٠٠، ٤٥٤، ٤٥٨، ٤٦٦.

(٢) المصدر السابق: ٦٣.

(٣) المصدر السابق: ٣٩٠.

(٤) المصدر السابق: ٣٩٣.

(٥) المصدر السابق: ٤١٨.

(٦) المصدر السابق: ٤٦٧.

(٧) المصدر السابق: ٢٣٢، ٢٣٤.

(٨) ينظر: أسرار البلاغة: ٥٠، ٣٥٨، ٣٩١.

(٩) العنوان بتحقيق الحساني حسن عبدالله، ونشر عالم المعرفة، بيروت. كما طبع بعنوان الوافي في العروض والقوافي بتحقيق عمر يحيى وفخر الدين قباوة، ونشر دار الفكر، ١٣٩٥هـ.

والعنوان الأول أرجح، ينظر: مقدمة الحساني ص ٩.

(١٠) ينظر مثلاً: وفيات الأعيان: ١٩١/٦-١٩٦.

* * *

ابن طاهر البغدادي (٥١٧هـ): له كتاب قانون البلاغة^(١)، وهو كتاب مختصر جعله قسمين: أحدهما لنقد النثر، والثاني لنقد الشعر، وليس فيه ما يقدح بالمعتقد، ولم أقف على ما يفصح عن معتقده.

* * *

جار الله محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ): له تفسير الكشاف^(٢)، والزمخشري من أئمة المعتزلة، وصفه الذهبي بأنه كبير المعتزلة^(٣). ويُعدُّ الزمخشري أكثر المعتزلة خدمة لمعتقده من خلال البحث البلاغي، فالكشاف يُعدُّ عند جمهور البلاغيين، مصدراً مهماً، ومرجعاً لا يستغنى عنه في بلاغة القرآن، وقد استطاع بدهاء أن يخضع تحليلاته البلاغية في تفسيره، لتلائم المعتقد الاعتزالي، ولم يجاوز البلقيني الحقيقة حين قال: "استخرجتُ من الكشاف اعتزالاً بالمناقيش"^(٤)، ولحظ ابن خلدون هذه الظاهرة في الكشاف، فقال: "... إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد، فيأتي الحجاج على مذاهبهم الفاسدة، حيث تعرض له في أي القرآن من طرق البلاغة"^(٥)، وقال مبيناً منزلة الكشاف البلاغية وفضله بين كتب التفسير: "... فانفرد بهذا الفضل

(١) طبع بتحقيق الدكتور محسن غياض عجيل، ونشر مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ.

(٢) طبع طبعات عديدة منها ما نشرته دار المعرفة في بيروت.

(٣) سير أعلام النبلاء: ١٥١/٢.

(٤) الإتيقان للسيوطي: ١٢٣٦/٢.

(٥) مقدمة ابن خلدون: ٤٤٠.

على جميع التفاسير، لولا أنه يؤيد عقائد أهل البدع عند اقتباسها من القرآن بوجوه البلاغة^(١)، ولقد تنبه بعض الأفاضل من المتأخرين^(٢) إلى هذه الظاهرة عند الزمخشري، وحرصوا على إبرازها كما فعل أسلافهم العلماء^(٣)، وأكتفي بعرض ما قاله بعضهم: يقول الدكتور مهدي السامرائي بعد أن نقل وقفة الزمخشري عند الإسناد في قوله تعالى: ﴿حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ البقرة: ١٧: "إن الزمخشري يرمق النص من خلال مشكلات كلامية لا تمت بسبب إلى الروح الفني الذي نتوخاه، والزمخشري يوجه معنى الآية توجيهاً يتفق مع معتقده الاعتزالي، ويذب عن عقيدته بطريقة كلامية جدلية"^(٤).

ويقول الدكتور مصطفى الجويني واصفاً شخصية الزمخشري الاعتزالية: "أما الناحية الأخرى من شخصيته كمعتزلي^(٥)، فهي ناحية الاعتزال الصرف، وفيها يبدو الزمخشري ملتزماً بمبادئ الاعتزال، ينظر الزمخشري إلى القرآن نظرة عامة، فيجعل الآي المناصرة ظواهرها للمذهب الاعتزالي محكمة، وتلك التي

(١) المصدر السابق: ٥٥٣.

(٢) من أمثال: الدكتور محمد أبو موسى، والدكتور مصطفى الجويني، والدكتور مهدي السامرائي، والدكتور درويش الجندي، والدكتور شوقي ضيف.

(٣) زاد عدد الحواشي والشروح التي ألقت على الكشاف على ثلاث وثمانين بين حاشية وشرح: ينظر الفهرس الشامل للتراث العربي المخطوط ١٨٢/١-١٨٨.

(٤) تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية: ١٦٣.

(٥) كذا في النص.

تخالفه متشابهة، ثم يرد التشابه إلى المحكم؛ ليخضع تفسيرها للرأي الاعتزالي^(١)، ويختتم الدكتور مصطفى بحثه عن الزمخشري بقوله: "وبعد: فالزمخشري إن هو يفسر، وإن هو يبحث الإعجاز القرآني، فقد كانت شخصيته الاعتزالية واضحة بينة تطالعنا في التفسير، كما تطالعنا في البحث الجمالي لأي القرآن"^(٢).

ويمكن أن نقف على نموذج مما خدم فيه الزمخشري معتقده، وفيه خفاء على كثير ممن يقرأ الكشاف، ولعل هذا الموضع من المواضع التي تستخرج بالمناقش، ففي حديثه عن قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٧٢] علق على ذلك بأن جعل الرضى أكبر النعيم^(٣)، وهو يريد بذلك أن ينفي مسألة الرؤية التي هي أكبر النعيم.

وقد انطلق من تنكير كلمة رضوان، وأنه للتقليل^(٤)، أي رضوان قليل أكبر من كل نعيم، والمنصف يقول إن أكبر هذه مقيدة بما ذكر قبلها، أي أكبر من الجنات والمساكن الطيبة.

وخدمة الزمخشري لمعتقده نماذجها كثيرة سيأتي شيء منها في الحديث عن السبكي الذي تتبع بعض سقطات الزمخشري ونبه عليها كما سيأتي.

(١) منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه: ١٠٦.

(٢) المصدر السابق: ٣٠٠.

(٣) ينظر: الكشاف ٢/٢٠٢.

(٤) ينظر مثلاً: المعاني في ضوء أساليب القرآن: ٢٤٧.

* * *

أسامة بن منقذ (٥٨٤هـ): له كتاب البديع في نقد الشعر^(١).

لم أفق على تحديد معتقده^(٢)، ولم أجد في كتابه ما يمكن أن يكون مأخذاً عقدياً، غير أنه كثير الاستشهاد بكلام علي رضي الله عنه^(٣)!! وهذا في الواقع لا يعد مأخذاً، ولكنه قد يومئ إلى شيء من التشيع، كما أنه متساهل في ذكر أبيات المبالغة^(٤)، والخمريات^(٥)، والمجون^(٦).

وفي باب الازدواج^(٧) لم يمثل إلا بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]، فلم يذكر آية المكر، أو المخادعة، أو الاستهزاء كما فعل غيره.

وملاحظ أخير لعله من سقطات أسامة بن منقذ، أنه حين تحدث عن الترصيع عرفه على أنه فن شعري^(٨)، ثم مثل له من القرآن الكريم.

* * *

(١) طبع أكثر من طبعة منها طبعة بعنوان البديع في البديع في نقد الشعر، تحقيق عبد آ. علي

مهنا، ونشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ.

(٢) ينظر مثلاً: وفيات الأعيان: ١/ ١٩٥-١٩٩.

(٣) البديع في البديع في نقد الشعر: ٧٢، ٧٥.

(٤) المصدر السابق: ٧٧، ١٠٤.

(٥) المصدر السابق: ١٨، ٨٢، ٩٣، ١٠٧، ١١٢، ١٦٣.

(٦) المصدر السابق: ٨٠.

(٧) المصدر السابق: ١٦٥.

(٨) المصدر السابق: ١٧١.

الإمام فخر الدين بن عمر الرازي (٦٠٦هـ): له تفسيره الكبير المشهور، بث فيه آراءه البلاغية التي صارت مادة ثرية، تداولها كثير ممن جاء بعده^(١).

وله كتابه البلاغي نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز^(٢)، الذي لخص فيه كتابي عبدالقاهر الجرجاني: الأسرار، والدلائل، وعمل على إخضاع علم البلاغة للتبويب والتقسيم مستفيداً من عقليته المنطقية، فأصبح هذا الكتاب كالقنطرة التي صارت جسراً عبرت من فوقه البلاغة العربية من حدائق الأدب ورياضه إلى بحار المنطق وظلماته وما فيه من أصداف اللؤلؤ الجميلة، وما يحويه من صخور صماء، أصبحت سمة لمدرسة المتكلمين البلاغية التي يتجاذبها وضوح التقسيم والتبويب، وغموض الإغراق في المنطق.

ولقد وصف الإمام الذهبي الإمام فخر الدين الرازي بقوله: "بدت من تواليفه بلايا وعظائم، وسحر وانحرافات عن السنة، توفي على طريقة حميدة، والله يتولى السرائر"^(٣)، ثم نقل الذهبي اعتراف الرازي في آخر حياته الذي قال فيه: "... تأملت الطرق الكلامية، والمناهج السلفية، فما رأيتها تشفي الفلسفية^{←x} عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، و﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ

(١) ينظر: فخر الدين الرازي بلاغياً، تأليف ماهر مهدي هلال، دار الحرية، ١٣٩٧هـ. وقد طبع التفسير الكبير المسمى (مفاتيح الغيب)، آخرها طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.

(٢) طبع بتحقيق الدكتور بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٨٥م.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٥٠٠/٢١.

﴿الطَّبِيبُ﴾ [فاطر: ١٠]، واقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ومن جرّب مثل تجريبي عرف مثل معرفتي^(١)، ولقد كان يرحمه الله أشعرياً جلدأ مجادلاً للمعتزلة وغيرهم، حكى ذلك عنه السبكي في طبقات الشافعية^(٢)، وإن كان السبكي متعصباً للرازي، فإنه لم يذكر النص الذي أوردته آنفاً من وصيته، بل اكتفى بنقل جزء منها، ولا أدري أيكون السبب رجوع الرازي عن أشعريته؟! أم لا؟

ولقد كان السبكي رحمه الله يصف خصوم الرازي بأقذع أنواع السباب، حتى شيخه الذهبي لم يسلم من ذلك، وإن كان يحرص على التأدب معه، أقول: غفر الله للجميع، وما أحوجنا لطرح رداء التعصب.

ومما يمكن تسجيله على الرازي من مخالفات عقدية في كتابه البلاغي: "نهاية الإيجاز" ملحوظات منها: قوله في باب الاستعارة: "وأكثر الآيات التي يتعلق بها أهل التشبيه من هذا الجنس، مثل قوله تعالى: ﴿وَلِتُضِنَّ عَلَيَّ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]، وقوله: ﴿وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧]، وفي هذا الأصل خلاص من تلك الإشكالات^(٣)، وهو بهذا يجعل الاستعارة متكأ لتأويل مثل هذه الصفات^(٤).

* * *

(١) سير أعلام النبلاء: ٥٠١/٢١.

(٢) طبقات الشافعي للسبكي: ٨٢/٨-٨٥، وينظر: البلاغة تطور وتاريخ لشوقي ضيف:

٢٧٤.

(٣) نهاية الإيجاز: ٢٥٧.

(٤) ينظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة: ٢٢٥، ١٢٢٧.

أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي (٦٢٦هـ): له كتاب مفتاح العلوم^(١)، الذي اشتهر منه الجزء الخاص بالبلاغة، وأصبح قطب الرحي للبلاغة عند كثير من المتأخرين، وبخاصة أصحاب الاتجاه العقلي. وصفه ياقوت الحموي بأنه: "متكلم فقيه متفنن في علوم شتى"^(٢)، واعتزله ظاهر يبين من آرائه في المفتاح، ولنقف على نماذج من ذلك:

ففي باب الإيجاز جعل السكاكي من أمثلة الاختصار قوله سبحانه في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّنْ تَقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾، وعقب على ذلك بقوله: "أصله: لن يتوبوا، فلن يكون قبول توبة، فأوثر الإيجاز، ذهاباً إلى انتفاء الملزوم بانتفاء اللازم، وهو قبول التوبة الواجب في حكمته تعالى وتقدس"^(٣)، ونبه الدكتور عبده زايد إلى ما وقع فيه السكاكي، فيقول: "في هذه الآية النفي منصب على قبول التوبة، وهذا يعني أن تكون هناك توبة ثابتة، ولكن السكاكي يرى أنه لو كانت هناك توبة لقبولها، فالنفي عنده يشمل القبول والتوبة جميعاً لما بينهما من التلازم"^(٤)، ثم يقول: "فإن التلازم بين التوبة وقبولها غير مفهوم إلا على مذهب المعتزلة"^(٥)، ويؤكد الدكتور عبده زايد ما ذهب إليه بنقل ما ذكره

(١) طبع مرات عديدة منها طبعتان محققتان: إحداهما لأكرم عثمان، والثانية لتعيم زرزور، وهي التي سأحيل عليها.

(٢) معجم الأدباء: ٥٨/٢٠-٥٩.

(٣) مفتاح العلوم: ٢٨٠.

(٤) عكس الظاهر: ٢٢.

(٥) المصدر السابق.

التفتازاني في شرحه للمفتاح حين توقف عند عبارة السكاكي الآنفه الذكر، حيث يقول التفتازاني: "إن اللزوم في الأول مقرر متفق عليه بين الكل، إذ لا نزاع في أن كل ما يثبت يعلمه الله البتة... بخلاف لزوم التوبة لله، فإن ذلك إنما هو عند المعتزلة، وعندنا لا وجوب ولا لزوم بالنسبة إلى الله تعالى"^(١)، وبهذا يتضح أن السكاكي أخضع تعليقه على الآية الكريمة لمعتقد الاعتزالي الذي ربط فيه التوبة وقبولها.

ولا يقتصر الأمر في كلام السكاكي على ما لحظه الدكتور عبده زايد، ولا يكفي ردّ التفتازاني؛ لأن من إشكال كلام السكاكي الإيجاب على الله عز وجل، إذ يوجب المعتزلة على الله تعالى قبول التوبة استحقاقاً للعبد، وليس فضلاً من الله ومنة، ومنهج أهل السنة والجماعة أن العباد لا يوجبون على الله تعالى شيئاً، وما وعد به عباده كان وقوعه واجباً بحكم وعده فضلاً منه وإنعاماً، لا استحقاقاً ومقابلة.

في حديث نقل فيه السكاكي قولاً عن حذف المسند إليه جعل من أمثلة الحذف لتعين المسند إليه قوله: خالق لما يشاء^(٢) أي: الله خالق لما يشاء، وقد تعقبه السبكي، فقال: "وقول السكاكي: (لما يشاء) لا حاجة لذكره، وأنه إنما ذكره اعتزالاً، لأنهم يرون أن العبد خالق، ولكن لا لكل ما يشاء، وفي ما قيل نظر؛ لأن هذا المثال هو المطابق لقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ

(١) ينظر: عكس الظاهر للدكتور عبده زايد: ٢٢-٢٣، فقد نقل النص عن شرح القسم

الثالث من المفتاح للتفتازاني، وهو مخطوط بدار الكتب: ١٠٨ ب، وقد اعتمدت على

كتاب عكس الظاهر.

(٢) مفتاح العلوم: ١٧٦.

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» [النور: ٤٥]، وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، فلعل السكاكي لم يقصد بقوله لما يشاء الاحتراز، بل قصد التأسى بالآية الكريمة^(١)، ومع هذا التسويغ اللطيف في البحث عن مخرج للسكاكي، إلا أن ما ذكره السبكي أولاً احتمال وارد.

* * *

ضياء الدين بن الأثير (٦٣٧هـ): له مجموعة من الكتب التي درس فيها فنون البلاغة والنقد، أوسعها وأشهرها (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)^(٢)، وكانت شخصيته متميزة في هذا الكتاب من خلال مناقشته لمن قبله ونقدهم فيما دونوه في فنون البلاغة، وله آراء جريئة في بعض العلماء تشوبها الحدة، التي كان مبعثها اعتزازه بنفسه كثيراً، مما أثار سخط بعض من جاء بعده فألفوا الردود عليه، كما فعل ابن أبي الحديد الذي ألف (الفلك الدائر على المثل السائر)^(٣)، وكما صنع خليل بن أليك الصفدي حين صنف (نصرة الثائر على المثل السائر)^(٤).

وقد قابل هذا الهجوم على كتاب ابن الأثير بدفاع عنه بعض المعجبين بالكتاب ومنهم: محمد بن الحسين الركني السنجاري في كتابه: (نشر المثل

(١) عروس الأفراح (شروح التلخيص: ٢٧٩/١).

(٢) طبع بتحقيق د. أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانة، ونشرته دار الخانجي بالقاهرة والرفاعي بالرياض.

(٣) طبع بتحقيق د. أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانة وطبع مع المثل السائر بجزء مستقل.

(٤) طبع بتحقيق محمد علي سلطاني.

السائر وطى الفلك الدائر^(١)، وعبدالعزیز بن عیسی فی مصنفه: (قطع الدابر عن الفلك الدائر)^(٢).

وهذا یعنی أن کتاب المثل السائر أحدث دویاً علمياً، فمن معارض له ألف فی نقده والرد علیه، ومن مؤید لما فیہ صنف فی تأییده والدفاع عنه.

ولابن الأثیر كتب أخرى ذات صلة وثيقة بالبحث البلاغي منها:
- الجامع الكبير فی صناعة المنظوم من الكلام والمنثور^(٣).

- وكفاية الطالب فی نقد كلام الشاعر والكاتب^(٤)، وهذا الكتاب فی نفسي شيء من نسبه لابن الأثیر، مع أن المحققين الأفاضل الذين نشروا الطبعتين^(٥) لهذا الكتاب لم يناقشوا أمر اختلاف النفس والطريقة والأسلوب الذي كتب به هذا الكتاب عن طريقة المثل السائر، فكتاب كفاية الطالب هو أشبه ما يكون بنقل ساذج مما ورد فی كتب السابقين وبخاصة كتاب العمدة لابن رشيق، لیست فیہ روح ابن الأثیر ذات الشعور بالتفوق على الآخرين، والاعتداد بالرأي بعبارات مثيرة، وبمناقشات عميقة، ولعل الفرصة تسنح بدراسة خاصة عن هذه القضية.

(١) ينظر: كشف الظنون: ١٥٨٦/٢.

(٢) ينظر: المصدر السابق.

(٣) طبع بتحقیق د. مصطفى جواد، ود. جمیل سعید.

(٤) صدر فی طبعیتين إحداهما بتحقیق د. نوري القيسي، ود. حاتم الضامن، وهلال ناجي، نشر جامعة الموصل، والثانية بتحقیق الدكتور النبوي عبدالواحد شعلان، ونشر الزهراء

للإعلام العربي، ١٤١٥هـ.

(٥) المصدر السابق.

- البرهان في علم البيان، كتاب لا يزال مخطوطاً، غير أنني أراه نسخة أخرى من كتاب كفاية الطالب والله أعلم.
 - الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان^(١).
 - الوشي المرقوم في حل المنظوم^(٢).
 - المفتاح المنشأ في حديقة الإنشاء^(٣).
 - المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء^(٤).
- هذه الكتب المنسوبة لابن الأثير الأديب، مما يمكن تصنيفه في حيز البحث البلاغي، أو كان ذا صلة وثيقة به.
- ولم أقف على تحديد لانتماء ضياء الدين بن الأثير العقدي، وما يمكن الإشارة إليه قضيتان:

الأولى: موقفه من الزمخشري، فقد ناقشه في فائدة الالتفات مناقشة علمية جادة كشفت عن طول باع ابن الأثير ودقة فهمه^(٥)، وتفوقه على الزمخشري في هذه المسألة، ومع ذلك كان في غاية الأدب معه كما يظهر ذلك في ترجمه على الزمخشري، وثنائه عليه.

(١) ويسمى المآخذ الكندية من المعاني الطائية، طبع بتحقيق حفني محمد شرف، ونشر مكتبة الإنجلو المصرية.

(٢) طبع في بيروت عام ١٢٩٨هـ، وصدر بتحقيق الدكتور جميل سعيد في بغداد، دون تاريخ.

(٣) طبع بتحقيق هلال ناجي، الموصل، ١٤٠٣هـ، وطبعة أخرى بتحقيق الدكتور عبدالواحد حسن الشيخ، ونشر شباب الجامعة، ١٤١٠هـ.

(٤) ينظر: مقدمة المحققين لكفاية الطالب، الطبعة العراقية، ص ٢٠.

(٥) المثل السائر: ١٨٢/٢-١٨٣.

كما ناقش الزمخشري في قضية التقديم للاختصاص ، وردّ عليه بأسلوب^(١) هادئ.

ولم يظهر في المناقشة ما يفصح عن موقف عقدي ، فالمناقشة دافعها ومحصلتها أسلوبية بحثية.

القضية الثانية : ما أورده ضياء الدين بن الأثير في باب المجاز حيث جعل منه التوسع في الكلام ، وأورد من أمثله قوله تعالى في سورة فصلت : ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اأْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [آية : ١١] ثم عقب على ذلك بقوله : "فنسبة القول إلى السماء والأرض من باب التوسع ؛ لأنها جماد ، والنطق إنما هو للإنسان لا للجماد ، ولا مشاركة ههنا بين المنقول والمنقول إليه ، وكذلك قوله تعالى : ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ [الدخان : ٢٩] وعليه ورد قول النبي ﷺ ، فإنه نظر إلى أحد يوماً فقال : (هذا جبل يحبنا ونحبه) ، فإضافة المحبة إلى الجبل من باب التوسع ، إذ لا مشاركة بينه وبين الجبل الذي هو جماد^(٢) ، ولا أدري كيف فات على ضياء الدين بن الأثير ، وهو الأديب الأريب العارف بأساليب الكلام ، أن كتاب الله تضمن آيات عديدة فيها يخبر الله جل وعلا عن نطق الجلود والأيدي ، ومنها قوله تعالى في سورة يس : ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ، وقوله عز وجل في سورة فصلت : ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَقُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا

(١) المصدر السابق : ٢/٢٤٠-٢٤١.

(٢) المثل السائر : ٢/٨٦-٨٧.

يَعْمَلُونَ ﴿١٠٦﴾ وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٠٧﴾

ولا أظن بعد هذا التصريح بأن الله أنطق ما يظنه الإنسان جماداً أن يشك أحد في نطق السماء والأرض إذا أمرهما الله بذلك، ولعل هذا الموقف من عشرات ابن الأثير غفر الله لنا وله.

وقد سبق للإمام ابن قتيبة رحمه الله أن نبّه على خطأ من يقول بمثل الذي ورد عند ابن الأثير، فقال: "وما في نطق جهنم ونطق السماء والأرض من العجب؟! والله تبارك وتعالى ينطق الجلود، والأيدي، والأرجل، ويسخر الجبال والطير بالتسبيح" (١).

وعرض عدداً من الآيات في تسخير الجبال والطير، وتمييز جهنم وتغيظها وزفيرها، وقولها: قط قط إلى غير ذلك، ثم إن هذه الأمور الغيبية تجري على ظاهرها، ويؤمن بحقائقها، وما دلت عليه، وليس للإنسان أن يستبعد ذلك أو يستحيله، فالله على كل شيء قدير، وأمور الآخرة ليست كأموال الدنيا.

بيد أن تفسير القرآن ينبغي أن ينظر فيه إلى ظاهر اللفظ أولاً، ثم إلى ما بينه في المواضع الأخرى من القرآن، أو ما ورد من صحيح السنة المطهرة، ثم أقوال السلف الصالح الذين فهموه كما أنزل، ولا يصح أن نبادر إلى القياس على شعر العرب قبل أن نمر بالمراحل التي ذكرت آنفاً، فإذا ما وجد في كتاب الله، أو في ما صح عن رسوله ﷺ، أو أقوال السلف، فإننا نقدمه على غيره، لأنه هو الذي يعين على الفهم الصحيح، ويعد ذلك - في عرف البلاغيين - من القرائن

(١) تأويل مشكل القرآن: ١١٣، وينظر: ١٠٦.

اللفظية، وهي -بلا شك- مقدمة، وإذا لم يوجد حينئذ نلجأ إلى ما يبين ذلك من كلام العرب، لأن القرآن نزل بلسانهم، والله أعلم.

* * *

عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني (٦٥١هـ): له كتابان: التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن^(١)، والبرهان الكاشف عن إعجاز القرآن^(٢)، وله كتاب ثالث خاص ببلاغة القرآن هو: (نهاية التأمل في كشف أسرار التنزيل) أشار إليه في كتابه البرهان^(٣).

قال عنه ابن العماد: "كان خيراً متميزاً ذكياً سرياً"^(٤).

ومما وقفت عليه في كتابه ردّه على الزمخشري في معنى (لن) عنده، وأكد ابن الزمكاني أن الزمخشري إنما فعل ذلك بدافع من اعتزاله.

يقول ابن الزمكاني: "لعلك تقول عن نص الزمخشري في مفصله على أن (لن) لتأكيد ما تعطيه لا من نفي المستقبل، وتغفل عن أنه بنى ذلك على مذهبه في الاعتزال"^(٥)، ثم شرع في إثبات أن (لن) لا تدل على النفي المطلق (على التأييد)، وأن (لا) هي التي تدل على ذلك بخلاف لن.

وأعقب ذلك بقوله: "... وإذا عرفت ذلك وضح لك سرّ الإتيان بـ (لن) في قوله تعالى: ﴿لَنْ تَرَنِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، حيث لم يرد به النفي مطلقاً، بل

(١) المثل السائر: ١٨٢/٢ - ١٨٣.

(٢) المصدر السابق: ٢٤٠/٢ - ٢٤١.

(٣) ينظر: البرهان الكاشف: ٤٩.

(٤) شذرات الذهب: ٢٥٤/٥.

(٥) التبيان المطلع على إعجاز القرآن: ٨٤-٨٥، وينظر: البرهان الكاشف: ١٩٤.

في الدنيا، وب(لا) في قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] حيث أريد نفي إدراك الإبصار على الإطلاق، وهذا يؤذنك أن الرؤية مغايرة للإدراك خلافاً لبعضهم، ولذلك قال عليه السلام: (إنكم لترون ربكم يوم القيامة)، ولم يأت بالإدراك، ومما يفرق لك بين الحرفين أن (لن) لنفي المظنون حصوله، و(لا) لنفي المشكوك فيه، وهذا يعلمك أن (لن) أكد في النفي على ما قاله الزمخشري، وإن كان زمانها أقصر^(١)، ولعل من المناسب هنا أن أذكر رأي الإمام ابن القيم يرحمه الله في الاستدلال على طول النفي وقصره في (لا) و(لن)، وأنه استدل بالجانب الصوتي على طول النفي بلا؛ لامتداد الصوت في نطقها، وبقصره في لن لانقطاع الصوت مباشرة^(٢)، وهو موافق لما رآه ابن الزملكاني.

ومن هنا يتبين أن ابن الزملكاني قد اعتمد في رده على الزمخشري على تتبع معاني لن ولا وعلاقتها بطول النفي وقصره، مما أسهم في الرد على من ينفي رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة استناداً على المعنى المزعوم لـ (لن)، وأنها للنفي المؤيد، كما زعم الزمخشري.

وقد صرح ابن الزملكاني في بداية كتابه البرهان أن أعلى مراتب اللجنة النظر^(٣)، وساق عدداً من الآيات للاستدلال بها على ثبوت الرؤية.

(١) التبيان لابن الزملكاني: ٨٥-٨٦، وينظر: البرهان له: ١٩٤.

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم: ٨٧/١. وربما يكون ابن القيم رحمه الله قد أفاد هذا الرأي من

السهيلي (٥٥٨١هـ) في نتائج الفكر في النحو ص ١٣١.

(٣) البرهان الكاشف: ٦٨.

ووقع ابن الزملكاني في تأويل بعض الصفات في موضعين من كتاب البرهان:

أحدهما: في حديثه عن التخيل^(١) في باب المجاز الإفرادي، أول صفتي العين واليمين.

وثانيهما: في ذكره المقابلة^(٢) جعل منه قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]، وفي هذا تأويل للاستهزاء.

وقد قال عن التخيل: "ولا تجد في علم البيان أدق ولا أعون في تعاطي تأويل المتشابهات منه"^(٣)، وهذا ما فعله كثير ممن يصطدم ظاهر الآيات بما يعتقدونه.

* * *

ابن أبي الإصبع المصري (٦٥٤هـ): له كتابان في البلاغة هما: بديع القرآن، وتحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن^(٤)، وله كتب أخرى ذات صلة وثيقة بالبلاغة والنقد وإعجاز القرآن منها:

- الخواطر السوانح في أسرار الفواتح^(٥).
- الكاملة في تأويل تلك عشرة كاملة^(٦).

(١) البرهان الكاشف: ١١١.

(٢) المصدر السابق: ١٠٣.

(٣) المصدر السابق: ١١١.

(٤) حققهما الدكتور حفني محمد شرف.

(٥) منه نسخة مخطوطة في المكتبة الظاهرية برقم: ٩١٦٩. ينظر: الفهرس الشامل للتراث العربي

المخطوط: ٢٥٣/١، وقد طبع بتحقيق حفني شرف، ونشر عام ١٩٦٠م.

(٦) ينظر: تحرير التعبير: ٥٢.

- الميزان في الترجيح بين كلام قدامة وخصومه^(١).

- الشافية في علم القافية^(٢).

وذكر أنه تحدث في الكتابين الأخيرين عن نفي أن يكون في القرآن شعر^(٣)، ولم أوفق في العثور على نص في ترجمته يحدد انتماء العقدي، غير أنني أسجل الوقفات التالية:

الأولى: ذكر في باب الازدواج^(٤) الذي أصبح فيما بعد يعرف بالمشاكلة^(٥) أن من أمثلته قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٧٨) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَىٰ آلَ أَلْبَابٍ لَّعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۚ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾، وصرح في هذا بالنقل عن الرماني، ولعل مما يسترعي الانتباه أن منهج ابن أبي الإصبع في كتابيه البديع والتحرير الاعتماد على ما ورد عند السابقين من أنواع البديع حسب التدرج التاريخي، إذ بدأ بأنواع ابن المعتز، فقدامة، فأبي هلال، ... وهكذا، ومعنى هذا أن يعتمد على الرماني في باب الازدواج، ويذكر أمثلته، ولكننا نراه يقتصر على المثال الأنف الذكر فحسب،

(١) المصدر السابق.

(٢) ينظر: بديع القرآن ١٦٦.

(٣) ينظر: المصدر السابق.

(٤) تحرير التحبير: ٤٥٣.

(٥) ينظر: مثلاً الإيضاح للقزويني: ٢٦/٦.

ولو رجعنا للرماني لوجدناه يذكر^(١) في أمثلة الازدواج آية الاستهزاء^(٢)، وآية المكر^(٣)، وآية المخادعة^(٤)، ولعل السبب يكمن في أن ابن أبي الإصبع يختلف عن الرماني في موقفه من هذه الصفات، ولهذا أثر الاكتفاء بآية الاعتداء التي لا حرج من جعلها من باب الازدواج، إذ إنها لا تتضمن الحديث عن صفة من صفات الله عز وجل، ومع ذلك فقد اقتدى ابن أبي الإصبع بالرماني في قضية تتصل بإحدى الصفات، كما سنعرف في الوقفة الثانية.

الثانية: وفي باب الإفراط بالصفة، وهو باب المبالغة، قال ابن أبي الإصبع: "والضرب الثالث من المبالغة: إخراج كلام مخرج الإخبار عن الأعظم الأكبر للمبالغة، والإخبار عنه مجاز، كقول من رأى موكباً عظيماً أو جيشاً ضخماً: جاء الملك نفسه، وهو يعلم أن ما جاء جيشه، وقد جاء من ذلك في كتاب الله العزيز قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رُؤُكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، فجعل مجيء جلائل آياته مجيئاً له سبحانه"^(٥)، وهذا النص اعتمد فيه ابن أبي الإصبع على الرماني^(٦) دون أن يصرح باسم الرماني، وذلك وفق منهجه في الإفادة من السابقين، ولتطابق النصين، وهذا فيه تأويل لصفة المجيء.

(١) النكت في إعجاز القرآن (ثلاث رسائل: ٩٩-١٠٠).

(٢) سورة البقرة: ١٥.

(٣) سورة آل عمران: ٥٤.

(٤) سورة النساء: ١٤٢.

(٥) تحرير التعبير: ١٥١، وتكرر ذلك عنده في بديع القرآن: ٥٦.

(٦) النكت في إعجاز القرآن (ثلاث رسائل: ١٠٤-١٠٥).

الوقفه الثالثة: أنه جعل من باب المناسبة قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، وعقّب على ذلك بقوله: "فإنه - سبحانه - لما قدّم نفى إدراك الأبصار له، عطف على ذلك قوله: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ خطاباً للسامع بما يفهم، إذ معترف العادة أن كل لطيف لا تدركه الأبصار..."^(١)، وهذا يدلُّ على أنه ينفي رؤية الله عز وجل، وجعل ذلك سبباً لكمال المدح، إذ يقول في كتابه الآخر تعليقاً على ذلك: "... التي نفى عنها إدراكه تكميلاً للتمدح"^(٢).

والوقفتان الثانية والثالثة تعطي كل واحدة منهما انطباعاً بأن موقف ابن أبي الإصبع من بعض الصفات يخالف موقف أهل السنة، فغفر الله لنا وله.

* * *

ابن أبي الحديد (٦٥٦هـ): له كتاب: الفلك الدائر على المثل السائر، رد فيه على ابن الأثير، وتتبع أخطائه في مقدمته للمثل السائر، فهو وإن أصاب في بعض ما ذكر، فقد تحامل على ابن الأثير في عدد من نقداً له^(٣). والرجل معتزلي شيعي، يكثر من الرد على الأشاعرة^(٤)، وكان وثيق الصلة بالوزير ابن العلقمي، غني بشرح نهج البلاغة، ومن شعره^(٥) ما يكشف عن معتقده:

(١) تحرير التحبير: ٣٦٣.

(٢) بديع القرآن: ١٤٦.

(٣) الفلك الدائر: (مقدمة المحققين: ٩-١٦).

(٤) وبخاصة الفخر الرازي فقد رد عليه في كتابين بذلك.

(٥) ينظر: الفلك الدائر (مقدمة المحققين: ٢٣-٢٤، ٢٦).

أيارب العباد رفعت صنعي وطلتُ بمنكبي وبللت ريقِي
 وزينغ الأشعري كشفت عني فلم أسلك بنيات الطريق
 أحب الاعتزال وناصره ذوي الألباب والنظر الدقيق
 فأهل العدل والتوحيد أهلي نعم، ففريقهم أبداً فريقِي

وله قصائد أخرى في الاعتزال، وقد ردّ عليه الصفدي بقصيدة يدافع فيها عن الفخر الرازي، ويبين ضلال ابن أبي الحديد في اعتزاله^(١).

ومن الإنصاف أن نذكر أن ابن أبي الحديد كان موقفاً في مناقشة ابن الأثير الذي أجاز أن يكون لفظ الجلود في قوله تعالى في سورة فصلت: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَقُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ دالاً على الحقيقة والمجاز، ولكنه أي ابن الأثير رجّح الدلالة المجازية^(٢)، وأن معنى الجلود: الفروج.

ولقد رجّح ابن أبي الحديد^(٣) الدلالة الحقيقة مستدلاً على ذلك بمعنى جلود في المواضع الأخرى في القرآن الكريم، وأن استخدامها للكناية عن الفروج ليس مراداً، وذلك لمجيء كلمة فروج صريحة في غير موضع من القرآن.

* * *

المظفر بن الفضل العلوي (٦٥٦هـ): له كتاب: نُصْرَةُ الإغريض في نُصْرَةِ القريض^(٤)، وهو كتاب شامل لكثير من موضوعات البلاغة والنقد، وله

(١) المصدر السابق: ٢٥.

(٢) المثل السائر: ١٠٦/١.

(٣) الفلك الدائر: ٧٠-٧٣.

(٤) طبع بتحقيق الدكتورة نهى عارف الحسن، ونشر دار صادر، بيروت، ١٤١٦هـ، ط ٢.

كتاب آخر هو (الرسالة العلوية)^(١) قصر الحديث فيه على الفصاحة محتذياً^(٢) بابن سنان الخفاجي.

ويظهر أن المظفر العلوي متشيع، يبدو ذلك من ثنائه على ابن العلقمي، وأنه ألف كتاب نَضْرَةَ الإغريض بطلب منه^(٣).

كما يلحظ القارئ تشيعه من خلال حديثه عن معاوية رضي الله عنه، وكلامه عن علي عليه السلام، ومقتل عثمان عليه السلام^(٤).

وفي الكتاب نفسه رأيته يترضى عن الصحابة^(٥) جميعاً، وعن عمر عليه السلام بصفة خاصة^(٦).

ولعل كون الكتاب خاصاً بالشعر لا يعين على رصد المخالفات العقدية، كما لو كان حول بلاغة القرآن.

وللمؤلف حديث حسن في موقف الإسلام من الشعر^(٧).

كما أنه حين استطرد في الحديث عن حذف المضاف، لم يستشهد^(٨) إلا بقوله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَسَلَّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا

(١) أشار إليه المؤلف ثلاث مرات في كتابه: نضرة الإغريض: ٢١، ٢٦٨، ٤٤١، وينظر: مقدمة المحقق: ص د.

(٢) ينظر: مقدمة المحقق: ص د، وينظر: ٢١-٢٢.

(٣) نضرة الإغريض: ١-٢.

(٤) نضرة الإغريض: ٣٢٨-٣٢٩.

(٥) المصدر السابق: ٣٥٢.

(٦) المصدر السابق: ٣٥٦.

(٧) المصدر السابق: ٣٥٢ وما بعدها.

(٨) المصدر السابق: ٤١٩.

وَأَنَا لَصَدِيقُونَ ﴿١﴾، ولم يذكر مثلاً قوله تعالى في سورة الفجر: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾.

* * *

العزبن عبدالسلام (٦٦٠هـ): له كتاب: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز^(١)، والعز من علماء الأشاعرة^(٢).

يقول الدكتور عبدالرحمن المحمود: "والأدلة على أشعرية العز واضحة، وقد سجل خلاصة لعقيدته في كتابه المشهور: قواعد الأحكام.

أما تأويله لبعض الصفات فواضح في كتابه الإشارة إلى الإيجاز، فقد أول صفة المجيء، والقبضة، واليدين، والنزول، والضحك، والفرح، والعجب، والاستواء، والمحبة، والغضب، والسخط وغيرها"^(٣).

وأكتفي بعرض نموذج يؤكد ما ذكره الدكتور المحمود، إذ يقول العز: "وأما مجيئه سبحانه وتعالى فمجاز عن حضوره وظهوره للبصائر بعد أن كان غائباً عنها، ومثاله قوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، ويجوز أن يكون هذا من مجاز الحذف، تقديره: وجاء أمر ربك، أو عذاب ربك، أو بأس ربك"^(٤)، فالمهم هو تأويل هذه الصفة عند العز سواء أكان ذلك عن طريق المجاز بالاستعارة، أم المجاز بالحذف، والدافع من وراء هذا الإصرار على التأويل أمر عقدي لا يخفى، غفر الله للجميع.

(١) طبع بعناية رمزي دمشقية، دار البشائر الإسلامية.

(٢) ينظر: طبقات الشافعية: ٢٠٩/٨-٢٥٥، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة: ٦٨٢/٢.

(٣) موقف ابن تيمية من الأشاعرة: ٦٨٢/٢.

(٤) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز: ١٠٦-١٠٧.

* * *

كمال الدين ميثم البحراني (٦٧٩هـ): له كتاب تجريد البلاغة^(١)، وقد نشره الدكتور عبدالقادر حسين بعنوان: أصول البلاغة، والغريب أن المحقق الفاضل صور الورقة الأولى من الكتاب، وفيها العنوان: (تجريد البلاغة)، ولم يذكر سبباً وجيهاً لتغيير العنوان!! وترجمته^(٢)، واسمه، ومؤلفاته تفصح عن شيعيته، فقد ورد في ترجمته إشارات إلى علاقته بالأئمة!! وتلقبه بالبحراني له دلالة شيعية، وكذلك عنايته بشرح نهج البلاغة، إذ له ثلاثة شروح عليه، وله كتاب: استقصاء النظر في إمامة الأئمة الاثني عشر^(٣).

وكتابه في البلاغة كتاب مختصر جداً، ومع ذلك فقد جاء فيه تأويل لليد وجعلها بمعنى القوة في باب المجاز^(٤)، وأول القبضة واليمين في باب الإيهام^(٥). ونشر له أيضاً الدكتور عبدالقادر حسين (مقدمة شرح نهج البلاغة)^(٦)، ولم يذكر المحقق لأي الشروح الثلاثة هذه المقدمة، وقد تضمنت عدداً من القضايا البلاغية، ورد فيها أيضاً تأويله للقبضة واليمين^(٧).

(١) حققه الدكتور عبدالقادر حسين، ونشرته دار الشروق، ١٤٠١هـ، بعنوان أصول البلاغة.

(٢) ينظر: ترجمته في روضات الجنان: ٥٢/٤، والذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٧٩/١٧.

(٣) ينظر: مقدمة المحقق ١٣.

(٤) أصول البلاغة: ٥٨.

(٥) المصدر السابق: ٨٧.

(٦) تحقيق د. عبدالقادر حسين، ونشر دار الشروق، ط ١، ١٤٠٧هـ.

(٧) ينظر: مقدمة شرح نهج البلاغة: ١٣٨.

* * *

أبو الحسن حازم القرطاجني (٦٨٤هـ): له كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء^(١)، وما طبع من هذا الكتاب ناقص إذ إن قسمه الأول مفقود كما ذكر المحقق^(٢).

ولحازم كتابان آخران، ما يزالان في عداد الكتب المفقودة وهما: (التجنيس)، وكتاب في القوافي^(٣)، وقد شرح ابن رُشيد الكتابين، واسم شرحه للكتاب الثاني: (وصل القوادم بالخوافي في شرح كتاب القوافي)^(٤).

ولم أجد في ترجمته^(٥) ما يفصح عن معتقده، إلا أن سيطرة الاتجاه^(٦) المنطقي والفلسفة اليونانية، والتأثر بأرسطو يجعل منهجه أقرب إلى منهج العقلين من المعتزلة.

وأكثر ما عني حازم بقضية الشعر، فلم يرد في المطبوع من كتابه^(٧) سوى آيتين.

* * *

(١) طبع بتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، ونشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١م.

(٢) ينظر: مقدمة المحقق: ٩٤، ٩٥.

(٣) ينظر: بغية الوعاة: ٤٩١/١، ومقدمة محقق منهاج البلغاء: ٨٨، ٨٩.

(٤) ينظر: مقدمة محقق منهاج البلغاء: ٨٨، ٨٩.

(٥) ينظر مثلاً: بغية الوعاة: ٤٩١/١-٤٩٢.

(٦) ينظر: منهاج البلغاء مقدمة المحقق: ٩٨.

(٧) منهاج البلغاء: ٤٤٥.

ناصر الدين البيضاوي (٦٨٥هـ): له كتاب أنوار التنزيل وأسرار التأويل^(١)، وقد أفاد من الزمخشري^(٢) في كشفه التوجه البلاغي في التفسير، ولكنه تتبعه في كثير من اعتزالياته وردّ عليها، خلافاً لما يراه بعض الباحثين، من أنه تابع الزمخشري^(٣).

ويدافع من أشعرية البيضاوي كان ينطلق في كثير مما ردّه على الزمخشري من اعتزالياته، ويذكر الدكتور عبدالرحمن المحمود أن البيضاوي كانت له مواقف محمودة في الصفات، ومنها أنه لما عرض لصفات: الاستواء، واليدين، والوجه، والعين، وذكر خلاف الأشاعرة أنفسهم فيها قال: "والأولى اتباع السلف في الإيمان بها، والرد إلى الله تعالى"^(٤)، والحق أن السلف يفوضون الكيفيات فحسب، لأن نص البيضاوي يلصق بالسلف التفويض العام الشامل للحقائق والكيفيات، فلا بد من التنبيه لذلك!!

وقد كتب الله لتفسيره الذبوع والانتشار، فكثرت عليه الحواشي، ومن أشهر الحواشي المطبوعة: حاشية السيد الشريف، وحاشية الشهاب، وحاشية زاده، وحاشية الكازروني. وهناك حواشٍ آخر ما تزال مخطوطة.

(١) طبع مرات عديدة منها بتحقيق الشيخ عبدالقادر عرفات حسونة، ونشر دار الفكر: ١٤١٦ هـ، وبحاشية الكازروني.

(٢) ينظر: مقدمة المحقق: ٦/١-٧.

(٣) ينظر مثلاً: تفسير البيضاوي: ١/٣-٤، ١٠٣، ١٤٣-١٥٢.

(٤) موقف ابن تيمية من الأشاعرة: ٦٨٨/٢.

ومواقف البيضاوي في الرد على الزمخشري كثيرة جداً، ويمكن التمثيل لها بما ذكره في الحديث عن قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، فقد بين اضطراب المعتزلة في هذا الإسناد ورد عليهم^(١).

* * *

بدر الدين محمد بن جمال الدين محمد بن مالك الطائي الأندلسي (٦٨٦هـ): له كتابا: المصباح في تلخيص المفتاح^(٢)، وروض الأذهان في المعاني والبيان^(٣).

لم أ حظ بالوقوف على نص صريح في بيان معتقده، وهو على الإجمال موافق لما عليه أهل السنة في كتابيه إلا في مواضع يسيرة منها:

أولاً: أنه ذكر في باب الاستعارة قوله تعالى في سورة الفجر: ﴿وَجَاءَ رُبُّكَ﴾، وجعل ذلك من باب الحذف، دون أن يذكر تقديراً للمحذوف^(٤)، وعلى أي كان التقدير، فالمقصود -والله أعلم- تقدير فاعل يكون مضافاً، كتقدير (أمر بك) مثلاً، كما هو الحال عند كثير ممن أول صفة المجيء اعتماداً على هذا الحذف المزعوم، ونتيجة ذلك هو تأويل صفة المجيء.

(١) تفسير البيضاوي: ١٤٣/١-١٥٢.

(٢) طبع بتحقيق الدكتور حسني عبد الجليل يوسف، ونشر بمكتبة الآداب.

(٣) لدي منه نسخة مخطوطة مخرومة الآخر، وعليها آثار الرطوبة في بعض أوراقها مصورة عن نسخة مكتبة ليدن، وأظنها النسخة الوحيدة المعروفة عن هذا الكتاب حتى الآن.

(٤) المصباح: ١٤٣.

ثانياً: أنه اقتصر^(١) في حديثه عن المزاوجة، التي هي بمعنى المشكلة عند غيره من البلاغيين المتأخرين على التمثيل لها بقوله عز وجل في سورة البقرة: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٧٨) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأَوَّلِي الْأَلْبَبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾، ومما يحمد له أنه لم يساير البلاغيين في ذكر الآيات المتضمنة لصفات: النفس، والمكر، والمخادعة، والاستهزاء، ولعله أراد الابتعاد عن ذلك عمداً ليتجنب الخوض في تأويل هذه الصفات، والله أعلم.

* * *

سليمان بن عبد القوي الصرصري الطوفي (٧١٦هـ): له من الكتب ذات الصلة بالبحث البلاغي: الإكسير في علم التفسير^(٢)، والصعقة الغضبية على منكري العربية^(٣)، والشعار في علوم الأشعار^(٤). وقد اتهم الطوفي بالتشيع، وناقش هذه المسألة الزميل الدكتور محمد الفاضل في مقدمة تحقيقه لكتاب الصعقة الغضبية، فنفى هذه التهمة عنه^(٥)، وأثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنها فرية ألصقت به، ففي كتبه، وبخاصة الصعقة

(١) المصدر السابق: ١٨٢-١٨٣.

(٢) حققه الدكتور عبدالقادر حسين، ونشرته مكتبة الآداب بالقاهرة، ١٣٩٧هـ.

(٣) حققه الدكتور محمد بن خالد الفاضل، ونشرته مكتبة العبيكان، عام ١٤١٧هـ.

(٤) لدي منه نسخة مخطوطة أهداني إياها الزميل الدكتور محمد الفاضل، وأنوي تحقيقها إن شاء الله لما تشتمل عليه من الموضوعات البلاغية الطريفة.

(٥) الصعقة الغضبية ص ٩٧-١٢٦.

الغضبية ما يدل على بطلانها، ومن أدلة ذلك مناقشته للاختلاف بين أهل السنة والرافضة حول قوله ﷺ: (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة)، وبيان أنه السبب في الخلاف هو (ما)، فأهل السنة يرونها موصولة، فيكون المعنى الذي تركناه صدقة، والرافضة يجعلونها نافية، فيصبح المعنى: لم نترك صدقة. وكان مؤيداً لأهل السنة ومشنعاً على الرافضة فهمهم.

ولم أقف على ما يقدر في معتقد الطوفي في حديثه البلاغي، بل كانت له مواقف تحمد له، ومنها حديثه في الإكسير عن الحذف، وبخاصة حذف المضاف أو المضاف إليه، فإنه لم يذكر فيه ما يقدر في المعتقد، فلم يذكر قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رُتُكُ﴾ كما فعل غيره، بل أورد آيات ليست من آيات الصفات.

وله موقف محمود ردّ فيه على من جعل قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ من باب المقابلة -التي أصبحت فيما بعد تعرف بالمشاكلة- قال فيه: "وفيه نظر لأنه إن أريد أنه لا يرد إلا مقابلاً بطل بقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٩٩]"^(١)، فهو ينكر أن تكون صفة المكر إنما ذكرت مقابلة أو مشاكلة، لأنها وردت في آية الأعراف ولا مقابلة أو مشاكلة فيها.

* * *

أبو العباس أحمد بن البناء المراكشي (٧٢١هـ): له كتاب: الروض المريع في صناعة البديع^(٢)، وله كتاب آخر فريد في بابيه، جعل خاصاً برسم

(١) الإكسير: ٦٥.

(٢) طبع بتحقيق رضوان بنشقرون، ونشر بدار النشر المغربية، الدار البيضاء ١٩٨٥م.

المصحف الشريف، وبيان سرّ الاختلاف في رسم بعض كلماته، وعنوان الكتاب هو: (عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل)^(١).

ولم أجد من نصّ على بيان معتقده، ولكنني أظنه يميل إلى الاعتزال، وذلك لطغيان الاتجاه الفلسفي والمنطقي على منهجه^(٢)، وما لحظته من متابعتة للزمخشري كما سيرد لاحقاً، مع أن ابن البناء له حاشية على الكشف بين فيها اعتزاليات الزمخشري^(٣).

وقد صرّح ابن البناء أن غرضه من تأليف الروض المريع زيادة فهم الكتاب والسنة^(٤).

ومما يمكن أن يستدل به على معتقد ابن البناء ما لحظته من متابعتة للزمخشري دون أن يُصرّح بهذه المتابعة، يقول وهو يتحدث عن دلالة الكلام: "ومن جهة العقل تكون النسبة في تركيب الأخبار إما واجبة، وإما ممتنعة، وإما ممكنة... والممكن ينقسم إلى ما وقع... وإلى ما لا يقع، وهذا يوافق الممتنع في الإحالة، لكنها إحالة الوقوع، لا الإحالة العقلية، كقوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]... فخرجهم ... إلى الدنيا ممكن عقلاً وهو محال الوقوع"^(٥)، وهذا النص مطابق لرأي المعتزلة في مسألة الخلود في النار، والغريب

(١) طبع بتحقيق هند شلبي، ونشر بدار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م.

(٢) ينظر: مقدمة محقق الروض المريع: ٩.

(٣) حطّ النقاب عن وجوه أعمال الحساب لابن قنفذ ٢٠١.

(٤) الروض المريع: ٦٩.

(٥) الروض المريع: ٧٧-٧٨.

أن المعتزلة الذين يعتدون بالعقل كثيراً يضربون عنه صفحاً إذا اصطدم بمعتقدهم كما لحظناه في كلام ابن البناء آنفاً.

ومما يسجل عن ابن البناء أنه جعل قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُؤٌ وَّمَكْرَ اللَّهِ﴾ من تجنيس المحاذاة، يقول: "وهذا النوع يقصد به المقابلة وتحقيق المساواة في المعادلة، فلذلك استعير للمعنى الثاني اللفظ من المعنى الأول"^(١)، وهذا هو مفهوم المشاكلة عند المتأخرين.

وأورد في ختام حديثي عن ابن البناء أمودجاً من كتابه الآخر حول تفريقه بين رسم "بأييد" بياءين ورسمها بياء واحدة، يقول بعد ذكره لقوله تعالى في سورة الذاريات: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾: "كتب بياءين فرقاً بين الأيد الذي هو القوة، وبين أيد جمع يد، ولا شك أن القوة التي بنى الله بها السماء هي أحق بالثبوت في الوجود من الأيدي، فزيدت الياء لاختصاص اللفظة بالمعنى الأظهر في الإدراك الملوكي في الوجود"^(٢)، فإن كان تفريق ابن البناء بين ما كتب بياءين وما يكتب بياء واحدة مقبولاً، لأن ما ورد في سورة الذاريات ﴿بِأَيْدٍ﴾ المراد به القوة، كما قال بذلك عدد من المفسرين^(٣)، إلا أن تعليقه في قضية الظهور ربما كان منطلقاً من مبدأ منطقي فلسفي غايته تأويل اليد؛ والله أعلم.

* * *

(١) المصدر السابق: ١٦٤.

(٢) عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل: ٩١-٩٢.

(٣) ينظر مثلاً: تيسير الكريم في تفسير كلام المنان لابن سعدي: ١٠٦/٥.

شهاب الدين محمود بن سليمان الحلبي (٧٢٥هـ): له كتاب: حسن التوسل إلى صناعة الترسل^(١).

أثنى عليه ابن كثير في البداية والنهاية^(٢)، وكذا الشوكاني في البدر الطالع^(٣)، وهو من علماء الحنابلة^(٤) المعدودين^(٥) الذين شاركوا في التأليف البلاغي.

وكتابه حسن التوسل من الكتب البلاغية النادرة التي تجمع بين التنظير والتطبيق، ففيه جعل البلاغة وسيلة لإجادة الكتابة، فجمع بين الإفادة من تحليل عبد القاهر، وتحديد السكاكي، وأردف ذلك بعرض نماذج من رسائله تتوافر فيها الصفات التي ذكرها في حديثه التنظيري.

ومما يحسن ذكره أن الحلبي في باب الإبهام ذكر أنه يسمى التورية والتخييل، وعرف التخييل بقوله: "التخييل: تصوير حقيقة الشيء للتعظيم"^(٦)، ثم ذكر أن منه قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ثم عقب عليها بقوله: "والغرض منه تصوير عظمته والتوقيف على كنهه جلاله

(١) حققه أكرم عثمان يوسف، ونشرته دار الرشيد في بغداد، ١٩٨٠م.

(٢) البداية والنهاية: ١٤، ١٢٠، ١٤٠.

(٣) البدر الطالع: ٢٩٥/٢.

(٤) ذيل طبقات الحنابلة: ٣٧٨/٢.

(٥) ومنهم الطوفي، وعزالدين الموصلي، ومرعي الكرمي.

(٦) حسن التوسل: ٢٥٠.

من غير ذهاب بالقبضة، ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو مجاز^(١)، ثم استعان بقول الزمخشري: "ولا نرى باباً في علم البيان أدق ولا ألفظ من هذا الباب، ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله تعالى وكلام الأنبياء عليهم السلام"^(٢)، وهذه الموافقة للزمخشري بهذا الأسلوب تلقي ظلالاً من الريبة على معتقد الحلبي، فجعل الآية من المشتبهات على منهج الزمخشري هو نوع من الهرب عن الاعتراف بإثبات ما أثبتته الله لنفسه، لأننا عرفنا في حديثنا عن الزمخشري أنه يجعل ما لا يوافق معتقده من الآيات المشتبهة، وتسليم الحلبي له بهذا أمر يؤخذ عليه، عفا الله عنا وعنهم.

* * *

محمد بن عبدالرحمن القزويني (٧٣٩هـ): له تلخيص المفتاح^(٣)، والإيضاح^(٤)، وهذان كتابان أصبحا قطبي الرحي في التأليف البلاغي عند المتأخرين، فمن شارح أو محشٍ أو مقرر، أو ناظم.

اعتمد القزويني بصورة واضحة على الزمخشري، وعبدالقاهر الجرجاني، إضافة إلى السكاكي، ولم يكن القزويني ملزماً لنفسه بالتقيد بما يراه هؤلاء، بل كان يناقش كل واحد منهم، وربما رجح رأي واحد منهم وأخذ برأي الآخر، وربما كان له رأي مستقل عنهم.

(١) المصدر السابق.

(٢) حسن التوسل: ٢٥٠، وانظر: كلام الزمخشري في الكشف، وفي البلاغة القرآنية في كشف الزمخشري: ٥٢٥، والإيضاح (التورية): ٥٠١ خفاجي.

(٣) أكثر الطبقات شيوخاً بشرح البرقوق، ومع شروح التلخيص.

(٤) طبع طبقات عديدة.

وعلى الرغم من اختلاف معتقد الزمخشري عن عبدالقاهر، فلم يكن القزويني -في أخذه عنهما- ينطلق من مبدأ عقدي، بل كان ينقل عنهما في قضايا البلاغة ما يرى أنه بحاجة إليه.

وجنوحه نحو الاعتزال أوقعه في مأخذ عقدية في عدد من أبواب البلاغة، ومن ذلك:

أولاً: في حديثه عن الإيجاز في علم المعاني جعل من أدلة الحذف العقل والتعین، ومثل له بقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رُتُكُ﴾، ثم قدر المحذوف بقوله: "أي أمر ربك، أو عذابه، أو بأسه"^(١)، وكرر الاستشهاد بالآية نفسها في حديثه عن المجاز بالحذف في علم البيان، دون أن يقدر المحذوف^(٢)، فلعله اعتماداً على ما سبق، وفي هذا تأويل لصفة المجيء.

ثانياً: في حديثه عن المجاز المركب أورد قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، وجعل الآية مجازاً عن التصرف^(٣).

ثالثاً: وفي باب مراعاة النظير جعل منه قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ الآية: ١٠٣ وعقب بما

(١) الإيضاح: ٢٩٩ (ط خفاجي).

(٢) المصدر السابق: ٤٥٤.

(٣) المصدر السابق: ٤٣٩.

يفهم منه أن اللطيف ما لا يدرك بالبصر^(١)، وهذا يعني إنكار الرؤية، وقد مرّ بنا عند الحديث عن ابن الزمكاني تفريقه بين الإدراك والرؤية.

رابعاً: جعل من المشاكلة^(٢) قوله تعالى: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

خامساً: جعل آية الاستواء في سورة طه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ مثالاً على التورية منطلقاً من دلالة لفظ استوى على معنيين^(٣)، وهذا مخالف لما عليه أهل السنة من إثبات الاستواء حقيقة على ما يليق به سبحانه.

ومما ينبغي الإشارة إليه في ختام الحديث عن القزويني. ما ذكر من دفاعه عن شيخ الإسلام ابن تيمية، ولقد تحمل أذى كثيراً^(٤) بسبب ذلك، ولعل اشتراكه مع ابن تيمية في التدريس^(٥) بالمسرورية سبباً لهذه الوقفة الطيبة من القزويني.

* * *

شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد^(٦) الطيبي (٧٤٣هـ): له عدد من المؤلفات البلاغية أو ذات الصلة الوثيقة بالبلاغية منها:

(١) المصدر السابق: ٤٩٠.

(٢) الإيضاح: ٤٩٤ (ط خفاجي).

(٣) المصدر السابق: ٥٠٠ (ط خفاجي).

(٤) ينظر: القزويني وشروح التلخيص: ١٢٢.

(٥) المصدر السابق: ١٢٤-١٢٥.

(٦) وقيل الحسين بن محمد، وقد أخذت بما رجحه ثلاثة ممن درسوا حياة الرجل في مقدمات أطروحاتهم العلمية، انظر: مقدمة محقق لطائف التبيان: ٢٢.

- ١- كتاب التبيان في البيان^(١)، وهو من أنفس كتبه البلاغية، رصد فيه قضايا البلاغة النظرية بتقسيم متميز عن غيره، ثم ختمه بدراسة تطبيقية^(٢) على حديث شريف طويل لمعاذ رضي الله عنه، نقله الطيبي عن رواية جامع الأصول للترمذي، وقام بتحليله بلاغياً نظر فيه من أربع جهات^(٣) : من جهة المعاني، ومن جهة البيان، ومن جهة البديع، ومن جهة الفصاحة.
- ٢- شرح التبيان: ذكره بعض من ترجم له، ولا يزال الكتاب في عداد المفقودات، ولعل الله ييسر العثور عليه؛ ليزيد رصيد هذا العالم الجليل في ميدان البحث البلاغي.

- (١) طبعه بهذا العنوان كل من: د. توفيق الفيل، وعبد اللطيف لطف الله، بتحقيق مشترك، الكويت، ١٤٠٦هـ، وهو العنوان الذي ذكره المؤلف في مقدمته.
- وحققه أيضاً: د. عبدالستار زموط في أطروحته للدكتوراه في كلية اللغة العربية بالأزهر، سنة ١٩٧٧م، ونشرته دار الجيل في بيروت، ١٤١٦هـ.
- كما حققه وطبعه بالعنوان السابق: عبدالحميد أحمد يونس هنداوي، ونشرته المكتبة التجارية بمكة المكرمة، دون تاريخ.
- كما حققه وطبعه الدكتور هادي عطية مطر الهلالي بعنوان: التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، ونشرته عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- ونال ثلاثة من الدارسين درجة الدكتوراه في تحقيق كل واحد منهم بصفة مستقلة.
- وكنت في عام ١٤٠٣هـ قد صورت نسختين مخطوطتين من الكتاب: إحداهما من تركيا، كتبت قبل وفاة المؤلف بعشرين سنة، والثانية من مكتبة عارف حكمة بالمدينة النبوية، وكنت أرغب تسجيله موضوعاً للدكتوراه، فأبلغني د. زموط أنه هو موضوع رسالته للدكتوراه، فعدلت عن ذلك، وكاد الحاصلون على الدكتوراه في هذا الكتاب يكونون أربعة!!!

(٢) ينظر: التبيان (ط هادي الهلالي): ٥٢٤-٥٤١.

(٣) ينظر: المصدر السابق: ٥٢٦، ٥٣٤، ٥٣٧، ٥٤٠.

- ٣- لطائف البيان في علمي المعاني والبيان^(١)، ويرجح محققه الفاضل أنه^(٢) تلخيص لكتابي مفتاح العلوم للسكاكي، ونهاية الإيجاز للرازي.
- ٤- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرب^(٣)، وهذا الكتاب حاشية على الكشف، وهي أعظم الحواشي عليه، ويظهر من عنوانه أن غاية مؤلفه بيان ما فتح الله به عليه من كشف ما وقع في تفسير الزمخشري من مخالفات مربية.
- وذكر الإمام ابن حجر: "أن المؤلف قد أجاب فيه عما خالف الزمخشري به مذهب أهل السنة أحسن جواب، وأن من يطالع هذا الشرح يعرف فضل مؤلفه"^(٤)، ونبه ابن خلدون إلى هذا الكتاب وأشاد به، ووصفه بأنه "شرح فيه كتاب الزمخشري...، وتتبع ألفاظه، وتعرض لمذاهبه في الاعتزال بأدلة تزيفها، وتبين أن البلاغة إنما تقع في الآية على ما يراه أهل السنة، لا على ما يراه المعتزلة، فأحسن في ذلك ما شاء، ومع إمتاعه في سائر فنون البلاغة"^(٥).
- ولقد أعجب الإمام الشوكاني بهذا الكتاب، ووصفه بأنه حاشية على الكشف، وحكم عليه بأنه أنفس حواشي الكشف على الإطلاق^(٦).
- ويظهر أن الإعجاب بفتوح الغيب قد امتد إلى العصر الحديث، فسُجِّلَتْ^(٧) عددٌ من الرسائل العلمية في تحقيق بعض أجزاءه.

(١) حققه وطبعه عبد الحميد هندأوي، ونشرته المكتبة التجارية بمكة المكرمة دون تاريخ.

(٢) انظر: لطائف التبيان: ٢٩.

(٣) منه نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية: ١٤٥/تفسير.

(٤) الدرر الكامنة: ١٥٦/٢.

(٥) تاريخ ابن خلدون: ٧٨٨-٧٨٩، وينظر: لطائف البيان: ٢٣.

(٦) ينظر: البدر الطالع: ٢٢٩/١.

(٧) انظر: -غير مأمور- إلى ما ذكره محقق لطائف التبيان حول بعض هذه الرسائل ص ٢٩.

٥- الكاشف عن حقائق السنن^(١)، وهو شرح لمشكاة المصابيح، أودعه الطيبي كثيراً من الفوائد، كان نصيبُ البلاغة فيها واضحاً مما أغرى بعض الباحثين بدراسة ما فيه من بلاغة^(٢).

ويتضح من عرض مؤلفاته البلاغية أو ذات الصلة به أنه شمل بدراسته التنظير والتطبيق معاً، كما أسهم في دراسة البلاغة القرآنية، والبلاغة النبوية، وهذا مما يحمد للطيبي رحمه الله، ويكاد ينفرد بهذه السمات من بين المشاركين في البحث البلاغي.

وأما معتقده فقد وصفه ابن حجر بقوله: "كان حسن المعتقد، ينهج منهج أهل السنة والجماعة"^(٣)، ويتصدى لبداية الفلاسفة وأقوالهم المنحرفة، ويناقش هذه الأقوال، ويفندها، ويبيّن زيفها"^(٤)، ويمكنني أيها القارئ الكريم أن أذكر لك بعض مواقف المحمود التي وظّف فيها التوجيه البلاغي لما يخدم معتقد أهل السنة، فمن ذلك:

أولاً: في حديثه عن تقديم المسند إليه قال: "... فيفيد قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧] التخصيص لا التحقيق عندنا"^(٥)، وهو بهذا يرد على الزمخشري، الذي جعل الفائدة من التقديم هي التوكيد فحسب هروباً من جعلها للاختصاص، حتى لا تصطدم بمعتقده في قضية الخلود في النار.

(١) طبع بعنوان: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، بتحقيق المفتي عبدالغفار وآخرين، ونشر إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي ١٤١٣هـ.

(٢) علمت عن تسجيل موضوعات البيان في هذا الكتاب، في جامعة أم القرى.

(٣) المصطلح في هذا النص يشمل الأشاعرة والماتريدية.

(٤) الدرر الكامنة: ١٥٦/٢.

(٥) التبيان: ٩٨.

ثانياً: حين عرض للحديث عن اللف والنشر قال: "وقد يحذف أحد القرينتين من اللف لدلالة النشر عليه، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨] على رأينا، إذ التقدير: لا ينفع نفساً إيمانها -حينئذ- أو كسبها في إيمانها خيراً، أو لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً من قبل"^(١)، وبهذا يمكن الرد على المعتزلة كالزنجشيري الذي يرى^(٢) أن الإيمان وكسب الخير لا ينفع بعد ظهور الآيات، لتوهمه أن الله سوى بين عدم الإيمان، وبين الإيمان الذي لم يقترن بالعمل الصالح في عدم الانتفاع به^(٣)، وقد قال ابن المنير في حاشيته على الكشاف: "... لا ينفع بعد ظهور الآيات اكتساب الخير، وإن نفع الإيمان المتقدم في السلامة من الخلود"^(٤)، وهذا الموقف من الطيبي استثمار حسن لموضوع اللف والنشر، ليكون معيناً في الرد على المعتزلة ودحض رأيهم، والانتصار لمذهب أهل السنة، دون تكلف أو لجوء إلى تأويل بعيد.

ومع هذه المواقف الحسنة نصادف عند الطيبي بعض المخالفات لمنهج أهل السنة، فمن ذلك:

(١) التبيان: ٤٠١.

(٢) ينظر: الكشاف: ٦٣/٢-٦٤.

(٣) ينظر: الكشاف: ٦٣/٢-٦٤، ومغني اللبيب لابن هشام: ٦٩٦/٢، وأنوار التجلي: ١/

٢٤ب، والبلاغة والنقد في شروح البديعيات: ٩٧٩-٩٨١.

(٤) الانتصاف (مطبوع في حاشية الكشاف): ٦٣/٢.

أولاً: في حديثه عن الكناية، جعل من أمثلتها قوله جل وعلا في سورة طه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، ثم قال: "إنه كناية عن الملك، فإن الاستواء على السرير لا يحصل إلا مع الملك، فجعلوه كناية عنه"^(١)، ومع أن الكناية يمكن دلالتها على ظاهر الكلام ولازمه^(٢)، إلا أن المراد منها في عرف البلاغيين هو لازم الكلام^(٣)، ولذلك فالمفهوم من جعل هذه الآية من الكناية دلالتها على الملك، والصواب أن نثبت صفة الاستواء على حقيقتها، ونفوض أمر الكيفية إلى الله عز وجل، فالله سبحانه مستوٍ استواءً حقيقياً يليق بجلاله، ونمسك عن الخوض في كنه هذا الاستواء.

كما جعل الطيبي من الكناية قوله عز وجل في سورة الزمر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]، ثم قال: "فالزبدة هي تصوير عظمته وكنه جلاله من غير ذهاب بالقبضة واليمين إلى جهتي حقيقة ومجاز"^(٤)، وهذا تفويض مطلق للمعنى والكيف، والحق إثبات صفتي القبضة واليمين على سبيل الحقيقة، وتفويض الكيفية إلى الله عز وجل، فله منهما ما يليق بجلاله وعظمته، وقد مرّ مثل ذلك عند الحديث عن شهاب الدين الحلبي، عفا الله عن الجميع.

(١) التبيان: ٢٧٨.

(٢) وتعريفها أنها: لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ، وهذا ما يميزها عن

المجاز، انظر: الإيضاح: ١٥٨/٥.

(٣) فلازم المعنى هو المقدم على المعنى الأصلي في الكناية.

(٤) التبيان: ٢٧٨.

ثانياً: وحين تحدث الطيبي عن الاستعارة التمثيلية، ذكر أن منها كون التخيلية مؤكدة لمعنى المشاكلة، ومثل لها بقوله تعالى في سورة الفتح: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْ أَجْرٍ عَظِيمًا﴾، ثم عقب على ذلك بقوله: "أكد بقوله: ﴿يَدُ اللَّهِ﴾ بعد التخيل معنى المشاكلة في يبايعون الله"^(١)، والمأخذ عليه أنه جعل المبايعة لله مشاكلة، وكذلك جعله ليد الله استعارة تخيلية، وهذا يتنافى مع أسلوب القصر الذي ورد في الآية بإغما، وهو يدل على تأييد حقيقة المبايعة.

يقول الشيخ محمد العثيمين -رحمه الله- عن هذه الآية "وقد أخذ السلف - أهل السنة - بظاهرها وحقيقتها، وهي صريحة في أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يبايعون النبي ﷺ نفسه، كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]، ولا يمكن لأحد أن يفهم من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْ أَجْرٍ عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٨] أنهم يبايعون الله نفسه، ولا أن يدعي أن ذلك ظاهر اللفظ؛ لمنافاته لأول الآية والواقع، واستحالته في حق الله تعالى.

ولإنما جعل الله تعالى مبايعة الرسول ﷺ مبايعة له ؛ لأنه رسوله ، وقد بايع الصحابة على الجهاد في سبيل الله تعالى ، ومبايعة الرسول على الجهاد في سبيل من أرسله مبايعة لمن أرسله ؛ لأنه رسوله المبلغ عنه ، كما أن طاعة الرسول طاعة لمن أرسله ؛ لقوله تعالى : ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ [النساء : ٨٠] ، وفي إضافة مبايعتهم الرسول ﷺ إلى الله تعالى من تشريف النبي ﷺ وتأيدته ، وتوكيد هذه المبايعة وعظمتها ، ورفع شأن المبايعين ما هو ظاهر لا يخفى على أحد^(١).

وفهم مما قاله فضيلة الشيخ محمد العثيمين أن المبايعة حقيقة لله تعالى تمت عن طريق رسوله ﷺ.

ثالثاً: في باب المجاز اللغوي من كتاب لطائف التبيان جعل^(٢) منه قوله تعالى : ﴿وَجَاءَ رُبُّكَ﴾ على تقدير محذوف ، والغريب أنه في الباب نفسه^(٣) من كتاب التبيان لم يذكر ذلك.

رابعاً: جعل من باب المشاكلة^(٤) :

قوله تعالى في سورة آل عمران : ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكِرِينَ﴾ لآل عمران : ١٥٤.

وقوله عز وجل في سورة المائدة : ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾.

(١) القواعد المثلى : ٧٣-٧٤.

(٢) لطائف التبيان : ١٠٨.

(٣) التبيان : ٢١٧-٢٢٢.

(٤) التبيان : ٣٤٧-٣٤٨ ، ولطائف التبيان : ١٣٥.

وهذا تأويل لصفتي المكر، والنفس، وقع في ذلك كما وقع عدد غير قليل من البلاغيين فيه.

وأختم الحديث عن الطيبي بالإشارة والإشادة بما لحظه أحد^(١) محققي التبيان، من ترفع الطيبي عن الاستشهاد بالشعر المكشوف، وكانت موضوعات الشعر الذي استشهد به هي الحكمة والزهد والحماسة مع وفائها بالجوانب الفنية^(٢)، رحم الله الطيبي وغفر لنا وله ولجميع المسلمين.

* * *

يحيى بن حمزة العلوي (٧٤٩هـ): له كتابا: (الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز)^(٣)، و(الإيجاز لأسرار كتاب الطراز في علوم حقائق الإعجاز من العلوم البيانية والأسرار القرآنية)^(٤)، والكتاب الثاني هو اختصار للكتاب الأول.

(١) هو الدكتور هادي عطية.

(٢) ينظر: التبيان: مقدمة المحقق: ٢٠-٢١.

(٣) طبع عدداً من الطباعات، أكثرها شيوعاً، طبعة سيد المرصفي وما صور عنها، وهذه الطبعة عن نسخة مخطوطة واحدة. وقام الأخ الكريم الشيخ عبدالمحسن العسكر بتحقيق الكتاب، فجمع عدداً من النسخ المخطوطة، ومنها نسخ نفيسة ذات صلة وثيقة بالمؤلف، أسهمت في تقويم نص الكتاب، ومما يشوقنا لهذا التحقيق أن المحقق الفاضل أخذ على نفسه قراءة نص الكتاب على أستاذنا الجليل الشيخ عبدالرحمن البراك أستاذ العقيدة في جامعة الإمام، ليوقفه على كل ما يحتاج إلى تعليق في مسائل العقيدة، ذلك كله إضافة إلى إفادة المحقق من المختصين بالبلاغة، وقد اشتركت في مناقشة هذا التحقيق الذي حصل به الشيخ عبد المحسن العسكر على درجة الدكتوراه عام ١٤٢٠هـ.

(٤) حقق الكتاب رياض القرشي، وحصل بهذا التحقيق على درجة الماجستير من جامعة القاهرة، ولا يزال الكتاب مرقوناً على الآلة الكاتبة.

والمؤلف من أكابر أئمة الزيدية^(١)، وهم أقرب طوائف الشيعة إلى أهل السنة، وهم موافقون للمعتزلة في أكثر أصولهم^(٢) ولهذا فالعلوي يسلك منهج الاعتزال، فله كتاب بعنوان: (التمهيد لعلوم العدل والتوحيد)، والعدل والتوحيد - كما هو معروف - أصلان من أصول المعتزلة.

ومما يمكن التنبيه عليه مما ورد من مخالقات في كتابي العلوي ما يلي:

أولاً: تأويله لصفتي السيد^(٣)، والاستواء^(٤)، معتمداً على الاستعارة التخيلية.

ثانياً: تأويله لصفة المجيء مستنداً على القرينة العقلية، ففي حديثه عن الفرق بين الحقيقة والمجاز، جعل منه "أنهم إذا علقوا الكلمة بما يستحيل عقلاً تعلقها به علم أنها في أصل اللغة غير موضوعة لها، فيعلم كونها مجازاً"^(٥)، ثم مثل لذلك بقوله تعالى في سورة الفجر: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وعلق عليها بقوله: "فإنه يستحيل عقلاً تعلق المجيء بالذات؛ لاستحالته عليها، فيعلم أن استعمالها مجاز بالنقصان، وأن

(١) البدر الطالع: ٣٣١/٢، والتعريف بكتاب الطراز للشيخ عبدالمحسن العسكر: ١١-١٢،

وكثيراً ما يردد المؤلف رأي الزيدية في كتابيه الطراز، والإيجاز، ينظر الطراز: ٧/٣،

والإيجاز: ٢٠، ٣١٩، ٣٤٨.

(٢) أصول مذهب الشيعة، للقفاري: ٩٥/١.

(٣) ينظر: الطراز ٧٠/١، ١٤٥.

(٤) ينظر: الطراز ١٤٥/١.

(٥) الطراز: ٩٣/١.

الأصل: وجاء أمر ربك^(١)، وهكذا ينطلق العلوي من مبدأ عقلي؛ ليتخذ منه ذريعة لتأويل صفة المجيء، بحجة القرينة، والأصل أن يجرى الكلام على ظاهره ما لم تقم قرينة معتبرة تنقله عن هذا الظاهر، ولا قرائن في أسماء الله وصفاته تمنع من إجرائها على ظواهرها، ولكن المنهج الاعتزالي للعلوي هو الذي جعله يفرع إلى العقل!!

ثالثاً: حكى العلوي اختلاف الأشاعرة والمعتزلة حول دلالة اللفظ على معناه، وذلك في حديثه عن الحقيقة والمجاز^(٢)، ثم حكى اختلاف الفرق في وقوع المجاز في القرآن، وانتصر^(٣) لما تراه الزيدية والمعتزلة.

رابعاً: عرّج العلوي على أهم المآخذ على المجاز، وأنه يؤدي إلى حصول مطاعن في ذات الله، وفي صفاته وفي كلامه، وناقش هذه المسألة، وبين رأيه فيها، معتمداً في ذلك كله على البرهان العقلي^(٤).

خامساً: دفاعه^(٥) عن رأي الزمخشري في معنى النفي بـ (لن)، ورده على ابن الزمكاني الذي بين أن منطلق الزمخشري في معنى (لن) عقدي، وانتصار العلوي للزمخشري إنما هو بسبب اشتراكهما في الاعتزال، والله أعلم.

(١) المصدر السابق.

(٢) الإيجاز: ٣١٩-٣٢١، وينظر: الطراز ١/٨٣، وفيه لم يسم الفرق.

(٣) الإيجاز: ٣٤٨.

(٤) ينظر الطراز: ٨٥/١.

(٥) الطراز: ٢/٢١٠-٢١١.

وما ساقه ابن الزمكاني^(١)، ووافقه ابن القيم^(٢) رحمهما الله كاف في الإقناع بأن (لا) أطول في النفي من (لن)، ومن هنا يكون نفي رؤية الله ليس على التأييد، والله أعلم.

* * *

صفي الدين الحلبي (٧٥٠هـ): له كتابا: (نتائج الألفية في شرح الكافية البديعية)^(٣)، و(الدر النفيس في أجناس التجنيس)^(٤).
وصفي الدين الحلبي من الشيعة^(٥)، ويظهر أنه ليس من غلاتهم.
وقد ورد في بديعته حين استشهد على نوع جمع المؤلف والمختلف قوله^(٦):

هم هم في جميع الفضل ما عدموا

سوى الإخاء ونص الذكر والرحم

وهو -هنا- يتحدث عن الصحابة وأنهم متساوون في الفضل، ولكن علماً رضي الله عنه يتميز بإخائه لرسول الله ﷺ، وقربته له، وذكر القرآن لذلك، وبقية الصحابة عدموا ذلك.

(١) التبيان: ٨٤-٨٥، والبرهان: ١٩٣-١٩٤.

(٢) بدائع الفوائد: ٨٧/١.

(٣) طبع بتحقيق الدكتور نسيب نشاوي بعنوان: شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، ونشره مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٢هـ، وقد بينت صحة اسم الكتاب كما هو مذكور (أعلاه) في البلاغة والنقد في شروح البديعيات: ٥٠-٥٣.

(٤) ذكره الحلبي في كتابه: ينظر شرح الكافية البديعية: ٧١، وهو ما يزال مخطوطاً.

(٥) شرح الكافية البديعية: ٢٣، وينظر: التوصل بالبديع: ٤٤.

(٦) شرح الكافية البديعية: ٢٨٧.

وكان هذا الموقف من الحلّي سبباً في تأليف عز الدين الموصلي لبديعيته وشرحها كما سنعرف بعد قليل إن شاء الله.

ومما وقع فيه الحلّي تمثيله للمشكلة بقوله سبحانه: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]^(١).

ومما يؤخذ على الحلّي كذلك إيراد شاهد ما جناً مكشوفاً^(٢) في حديثه عن الاقتباس، فيه عبث وسخف، واستهزاء بآيات القرآن الكريم، ولا يعفي الحلّي أنه جعل ذلك من الاقتباس المردود المردول. عفا الله عنا وعنه.

* * *

شمس الدين محمد بن أبي بكر الدمشقي المعروف بابن القيم (٧٥١هـ): ليس لهذا العالم الرباني كتاب خاص بالبلاغة، والكتاب الذي نشر منسوباً إليه بعنوان: (الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان)^(٣)، شكك في نسبته إليه عدد من الأفاضل^(٤)، وقد جمع الدكتور عبدالفتاح لاشين بعض آراء ابن القيم البلاغية في كتاب جعل عنوانه: (ابن القيم وحسه البلاغي)^(٥)، كانت جلّ مادته من كتاب بدائع الفوائد، ولم يعتد الدكتور لاشين -وفقه الله- كثيراً بكتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن.

(١) شرح الكافية البديعية ١٨٢.

(٢) المصدر السابق: ٣٢٧.

(٣) طبع مرات عدة، منها طبعة دار الكتب العلمية في بيروت، دون تاريخ.

(٤) منهم الشيخ أحمد محمد شاكر، والشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد، ينظر: مقدمة تفسير ابن النقيب: ١٣-١٤، وكتاب ابن القيم حياته وآثاره، للشيخ بكر أبو زيد: ١٨٤-١٨٥، وابن القيم وحسه البلاغي: ٢٦-٣٠.

(٥) ابن القيم وحسه البلاغي، للدكتور عبدالفتاح لاشين، نشر دار الرائد العربي.

وقد أثبت^(١) الدكتور زكريا سعيد أن كتاب الفوائد إنما هو مقدمة ابن النقيب لتفسيره، وكنت قد ذكرت أن كتاب الفوائد المشوق يمكن أن يكون هو مقدمة ابن النقيب، أو، له به صلة وثيقة، وذلك في أطروحتي^(٢) للدكتوراه، ولكنني تأخرت في نشر ذلك، ففاز بهذا البيان، وتوضيح الخطأ وبيان الصواب، الدكتور الفاضل زكريا سعيد.

وإذا كان الكتاب البلاغي (الفوائد المشوق) قد نسب لمؤلفه، فيبقى لابن القيم آراء بلاغية مبثوثة في كتبه الكثيرة النافعة، ولعل من أهمها كتاب بدائع الفوائد، ففيه من البدائع البلاغية ما يكشف عن بلاغة سنّية سنّية، تدل على سعة في ثقافة الرجل، ودقة في الفهم، وصواب في الرأي، وآراؤه البلاغية تمثل الاتجاه السني في البلاغة.

وقد أفدت من آراء ابن القيم البلاغية^(٣) في كتابي: (من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم).

* * *

عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار: عضد الدين الأيجي (٧٥٦هـ): له في البلاغة كتابا: (الفوائد الغياثية)^(٤)، و(المدخل)^(٥).

(١) مقدمة تفسير ابن النقيب، تحقيق د. زكريا سعيد: ١١-٣١، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤١٥هـ.

(٢) البلاغة والنقد في شروح البديعيات: ١٨١-١٨٢.

(٣) علمت أن إحدى الأخوات قدمت أطروحة للماجستير بعنوان من أسرار النظم القرآني عند ابن القيم، ولم أشرف بالاطلاع على الرسالة. ينظر: دليل عناوين الرسائل العلمية لرسائل الماجستير والدكتوراه بكليات البنات حتى نهاية محرم ١٤١٥هـ، ص ١٨٤.

(٤) طبع بتحقيق الدكتور عاشق حسين، ونشرته دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، ط ١، ١٤١٢هـ.

(٥) ينظر: مقدمة محقق الفوائد الغياثية: ٢٦، وقد أشار إلى أنه مخطوط، ص ١٧٥.

وعضد الدين الأيحي أشعري، له كتاب: المواقف في علم الكلام، وهو يمثل الصياغة النهائية لمذهب الأشاعرة^(١).

ومما ينبه عليه في كتاب الفوائد الغيائية ما يلي:

أولاً: أنه جعل من الاستعارة التخيلية قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، وقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكِرِينَ﴾، وهذا فيه تأويل لصفتي اليد، والمكر.

ثانياً: حين تحدث عن المجاز ذكر أنه يكون بالنقصان، ومثل لذلك بقوله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَسَقَلَ أَنْفَرَتَهُ﴾، ولم يذكر غيرها كآية سورة الفجر: ﴿وَجَاءَ رُؤُكَ وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًا﴾، ولا أدري، هل السبب عدم الرغبة في تأويل المجيء، أو أن طبيعة كتابه الاختصار، فلم يرغب في الزيادة؟! والله أعلم.

* * *

صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (٧٦٤هـ): له من الكتب ذات الصلة بالبحث البلاغي: نصرة الثائر على المثل السائر^(٢)، وفض الختام عن التورية والاستخدام^(٣)، وجنان الجناس^(٤)، والهول المعجب في القول

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة: ٦٨٩.

(٢) طبع بتحقيق محمد علي سلطاني، ونشر عام ١٣٩١هـ.

(٣) طبع بتحقيق الدكتور المحمدي عبدالعزيز الحناوي، ونشر بدار الطباعة المحمدية عام ١٣٩٩هـ.

(٤) طبع بتحقيق سمير حسين حليبي، ونشرته دار الكتب العلمية، بيروت، عام ١٤٠٧هـ.

بالموجب^(١)، وكتاب في الاستعارة^(٢).

لم أقف على تحديد معتقده، والظاهر أنه أشعري، لما سأذكره بعد قليل من ملحوظات لا تختلف عما عند الأشاعرة.

ففي مناقشته لمصطلح الإيهام أورد قوله تعالى في سورة النور: ﴿يَوْمَ يُؤْفِكُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾، وقال: "لأن من لا يحسن التلاوة يتوهم دينهم -بفتح الدال- تمسكاً بقرينة يوفيههم، فجعل الثواب على الله ديناً من المبالغة، والصحيح ما ذهب إليه أهل السنة أن الله تعالى لا يجب عليه شيء، وله عقاب الطائع وثواب العاصي"^(٣)، وهذا الكلام فيه ردٌ على المعتزلة الذين يوجبون عليه بعض الأفعال، ويتحدثون عن ذلك في الأصل الثاني من أصولهم الخمسة وهو العدل^(٤).

وقال وهو يناقش مصطلح التخيل، وبعد ذكره لقوله تعالى في سورة الزمر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: "وهو كناية عن القدرة والاستيلاء، ولذلك قال بيمينه دون في يمينه تجنباً لإيهام الظرفية التي

(١) منه نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية برقم: ٤٣٥ بلاغة.

(٢) لا أدري أتمكن الصفدي من تأليفه أم لا؟، لأنه قال وهو يتحدث عن الاستعارة: "وإن فسح الله في الأجل وضعت فيها مصنفاً قائماً بالذات، كما وضعت هذا في التورية، وكما وضعت جنان الجناس في الجناس"، فض الحتام: ١٧٧.

(٣) فض الحتام: ١٥٣.

(٤) ينظر: المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منهم: ١٥٢-١٥٣.

هي من لوازم الأجسام"^(١)، وهو بهذا يؤول القبضة واليمين، و يجعلها كناية عن القدرة والاستيلاء.

وذكر من أمثلة التورية قوله عز وجل في سورة طه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، وقوله تعالى في سورة الزمر: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحَٰنَهُ ۖ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

ثم قال: "وأكثر المتشابهات من هذا القبيل. وكذا قال الإمام فخر الدين في نهاية الإيجاز"^(٢)، فهو يوافق الرازي الأشعري في جعل ذلك من المتشابهات والفرع إلى التخييل لتأويل تلك الصفات.

وقد يكون موقف الصفدي سلبياً، فحين تحدث عن الاشتراك ذكر أنه كان وسيلة لابن الفارض، وعفيف الدين التلمساني وغيرهما "في التورية عن مذهبهم الذي يرمون به من القول بالوحدة وإظهار ذلك مظهر الغزل"^(٣)، واكتفى الصفدي بهذا الإخبار دون أن يكون له رأي صريح في نقد مثل هذا التوجه.

وأختم الحديث عن الصفدي بالإشارة إلى تساهله في رواية المجون شعراً ونثراً، فالذي يقرأ في كتابه: "الغيث المسجم في شرح لامية العجم"^(٤) يدرك ما فيه من الفحش في القول، والذي يقرأ عنوان كتابه (الحسن الصريح في مائة مليح)^(٥) يعرف ما لدى الرجل من تساهل. عفا الله عنا وعنه.

(١) فض الختام: ١٦١.

(٢) المصدر السابق: ١٦٢.

(٣) فض الختام: ١٩٨.

(٤) فض الختام: (مقدمة المحقق: ١٩).

(٥) منه نسخة مخطوطة في دار الكتب الظاهرية بدمشق برقم: ٥٦٥٧، وأخرى في دار الكتب المصرية، المكتبة التيمورية برقم: ٢٣٦ أدب. انظر: فض الختام: (مقدمة المحقق: ١٩).

* * *

أحمد بن علي بن عبد الكافي: بهاء الدين السبكي (٧٧٣هـ): له كتاب: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح^(١).

وبهاء الدين السبكي سليل عائلة علم أشعرية أسهمت في كل فن، فأبوه تقي الدين^(٢) صاحب التصانيف الكثيرة، ومنها مما يتصل بالبلاغة:

الإغريض في الحقيقة والمجاز والكناية والتعريض^(٣)، والافتناص في الفرق بين الحصر والقصر والاختصاص في علم البيان^(٤)، وأحكام كل وما تدل عليه^(٥)، ووشي الحلّى في تأكيد النفي بلا^(٦)، وسبب الانكشاف عن إقراء الكشف^(٧)، وهذا الأخير أملاه حين وقف على طوام الزمخشري في كشفه ومخالفاته العقدية، ونيله من رسول الله ﷺ^(٨).

وأخوه تاج الدين صاحب الموسوعة القيمة طبقات الشافعية.

(١) طبع ضمن شروح التلخيص، وعلمت أنه حقق برسالة علمية في مصر، ولما يطبع!

(٢) ينظر: ترجمته في طبقات الشافعية لابنه تاج الدين: ١٠/١٣٩-٣٣٨.

(٣) طبقات الشافعية: ١٠/٣١٢، ومنه نسختان مخطوطتان الأولى في مكتبة جامعة الإمام برقم:

٣٥٥٦ مصورة عن مكتبة راشد أفندي، والثانية في مكتبة جامعة الملك سعود برقم: ٢٢٦

٥/م ص، وتقع في أربع لقطات.

(٤) طبقات الشافعية: ١٠/٣١٥، ينظر: عروس الأفراح (شروح التلخيص: ١٥٤/٢-١٦٠).

(٥) طبقات الشافعية: ١٠/٣٠٨.

(٦) طبقات الشافعية: ١٠/٣٠٩، ينظر: عروس الأفراح: ١٨٧/٢.

(٧) طبقات الشافعية: ١٠/٣١٤.

(٨) ينظر: معيد النعم ومبيد النقم: ٨٠، ٨١، ينظر: منهم الزمخشري: ٢٦٧.

ومما يحمد لبهاء الدين السبكي ردوده على المعتزلة في كل مناسبة بلاغية تعرض، ومن ذلك:

أولاً: حين تحدث عن دلالة الاسم على الثبوت ذكر تنبيهاً قال فيه: "ليت شعري! ماذا يصنع الزمخشري في أنه لا يزال يصرح بدلالة الاسم على الثبوت والاستقرار"^(١) - ولا شك أن المراد بالثبوت والاستقرار^(٢) ثبوت المصدر الذي يشتق منه الاسم - ثم يقول: إن أسماء الله سبحانه مشتقات لا تستلزم صدق أصلها؟!، فأبي ثبوت عنده في نحو: عليم وسميع إذا كان ينكر أصل العلم والسمع؟!، ولكنه لا يزال يستعمل القواعد البيانية ما لم تغط عليه للبدعة الاعتزالية، فيعدل عنها"^(٣)، فهذه اللفتة الرائعة من السبكي تكشف شيئاً من تناقض الزمخشري حول الإقرار بمبدأ دلالة الاسم على الثبوت، ثم يزعم الزمخشري أن أسماء الله مشتقات لا تستلزم صدق أصلها، فكيف يجتمع الإقرار والإنكار لشيء واحد في وقت واحد؟!!

ثانياً: قال السبكي وهو يتحدث عن الحمد: "وقد يستأنس بأن الحمد لا يكون لغير الله تعالى بما ورد في الكتاب والسنة من أنه تعالى (له الحمد) وهذه صيغة اختصاص، وبلاستغراق الذي هو ظاهر الألف واللام في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾" [الفاتحة: ١٢].

(١) كذا في المطبوع أقول: لعلها: الاستمرار.

(٢) كذا في المطبوع أقول: لعلها: الاستمرار.

(٣) عروس الأفراح: (شروح التلخيص: ٣١/٢).

فأما قول^(١) الزمخشري إن الاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس في الحمد وهم، فقيل: إنها نزعة اعتزال، لأنهم يرون أن أفعال العباد مخلوقة لهم، وأنهم يحمدون عليها، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وكان قائل هذا القول لم يطرق سمعه قوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، وقوله ﷺ عند الصباح: "اللهم ما أصبح بي من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك"^(٢).

وقيل: أراد أن الألف واللام ليست للاستغراق إذا دخلت على اسم الجنس، وليست كذلك!، بل هي للاستغراق عنده، وعند الأكثرين. وقيل: إن أراد أن التقدير: أحمد الله حمداً؛ لأنه مفسر بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، فكان المقصود به حمداً خاصاً، فلا تكون للاستغراق، وإن أراد ذلك، ففيه نظر"^(٣).

ومع مخالفة السبكي للزمخشري في رأيه إلا أنه يضع الاحتمالات والافتراضات لمراد الزمخشري، وفي هذا الصنيع غاية العدل.

ثالثاً: قد يكتفي السبكي ببيان ما يعتقده دون تعرض صريح لرأي غيره، كما فعل حين تحدث عن تأكيد الخبر في قوله تعالى في سورة هود: ﴿وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ [هود: ٣٧] إذ قال: "... فخير الله لا يخلف،

(١) ينظر: الكشاف ٥٠/١.

(٢) رواه أبو داود: ٣١٨/٤، والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم: ١٣٧/٧، وابن السني برقم: ٤١، ص ٢٤.

(٣) عروس الأفراح: (شروح التلخيص: ٣٦/١-٣٧).

وعيداً كان أم غيره، على رأي أهل السنة^(١)، ومن عفي عنه من العصاة لم يدخل في عموم الوعيد^(٢).

رابعاً: نبه السبكي على مخالفة الزمخشري لنفسه والبلاغيين حين جعل قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧] بمنزلة قول الشاعر:

هُمُ يَفْرَشُونَ اللَّبَدَ كُلَّ طِمْرَةٍ وَأَجْرَدَ سَبَّاحٍ يُبْدُ الْمَغَالِبَا

في دلالة على قوة أمرهم، وليس على الاختصاص^(٣)، فقال السبكي معقّباً: "وهي دسيّة اعتزال؛ لأنه لو جعلها^(٤) -هنا- للاختصاص لزمه تخصيص عدم خروج الكفار، فيلزم خروج أصحاب الكبائر من المسلمين كمذهب أهل السنة، والزمخشري أكثر الناس أخذاً بالاختصاص في مثل هذا وغيره من قواعد البيانين، فإذا عارضه الاعتزال فزع من قواعدهم إليه^(٥)، ويلحظ القارئ الكريم أن الزمخشري تفادى التصريح بفائدة تقديم المسند إليه، واكتفى بجعل التقديم في الآية بمنزلة التقديم في البيت، والتقديم في البيت -عند كثير من البلاغيين^(٦) - لغرض التقوية والتوكيد، وليس الاختصاص، ولعل هذا

(١) المصطلح في هذا النص للسبكي يدخل فيه الأشاعرة والماتريدية.

(٢) عروس الأفراح: (شروح التلخيص: ٢١٢/١).

(٣) ينظر: الكشف: ٢١٢/١.

(٤) الضمير يعود على فائدة تقديم المسند إليه.

(٥) عروس الأفراح: (شروح التلخيص: ٤٢٤/١).

(٦) ينظر مثلاً: دلائل الإعجاز: ١٢٩.

التصرف من الزمخشري فيه محاولة للتدليس على القارئ، ولكن أنى له أن يدلّس على السبكي وأمثاله؟!!

خامساً: انتقد السبكي ما نقله السكاكي من رأي عن قوله (خالق لما يشاء) في باب حذف المسند إليه، إذ جاء بذلك القول مثلاً لغرض التعين أي تعين المسند للمسند إليه، ويبيّن السبكي أن زيادة السكاكي لعبارة (لما يشاء) إنما ذكرت اعتزالاً^(١)، انطلاقاً من رؤية المعتزلة في أن العبد خالق ولكن ليس لكل شيء.

وقد مرّ الحديث عن هذه القضية في أثناء الحديث عن السكاكي. سادساً: في باب المجاز العقلي ردّ السبكي^(٢) على الخطيبي^(٣) - شارح المفتاح - في قضية إسناد الإنبات إلى الربيع، وما نسبته الخطيبي للسكاكي من أنه لا يرى أن أسماء الله توقيفية، وأخذ ذلك من كلامه على نحو: أثبت الربيع البقل على ما يقتضيه لفظه.

فبين السبكي ضعف ذلك، ولا يكون استنباط الخطيبي صحيحاً إلا إذا كان مراده أن السكاكي يرى أن الأسماء اصطلاحية؛ لكونه معتزلياً^(٤).

سابعاً: حديث السبكي عن الاستعارة التخيلية في قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۖ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ نقله

(١) ينظر: عروس الأفراح: (شروح التلخيص: ٢٧٩/١)، ومفتاح العلوم: ١٧٦.

(٢) ينظر: عروس الأفراح: (شروح التلخيص: ٢٦٩/١-٢٧٠).

(٣) لعله الخطيبي الخلخالي، فله شرح للمفتاح، انظر: مقدمة التبيان للطبيي مقدمة تحقيق د. الفيل، ص ٢٢، وله شرح للتلخيص حقق في رسالة علمية في جامعة الأزهر.

(٤) عروس الأفراح: (شروح التلخيص: ٢٦٩/١).

عن الزمخشري^(١)، وفيه تفويض مطلق لمعنى القبض واليمين، لأنه يقول: "من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو مجاز"^(٢).

ثم أثنى على باب التخيل بقوله: "ولا نرى باباً في علم البيان أدق وألطف من هذا الباب، ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المشتبهات"^(٣)، وبهذا يتفق السبكي مع الزمخشري في اللجوء لباب التخيل حين يكون النص مخالفاً لما يراه المعتزلة أو الأشاعرة.

* * *

ابن مالك الرعيني (٧٧٩هـ): له كتاب طراز الحلة وشفاء الغلة^(٤)، شرح فيه بديعية صاحبه ابن جابر الأندلسي التي سمّاها: الحلة السيرا في مدح خير الوري.

لم أقف على تصريح من المترجمين^(٥) له بتحديد معتقده، وفي كتاب الرعيني ما يدل على أشعريته كإخراجه العمل عن مسمى الإيمان، وتأويله لبعض الصفات^(٦)، ووجدت مواقف محمودة له منها:

(١) ينظر: الكشف والبلاغة القرآنية في كشف الزمخشري: ٥٢٥.

(٢) عروض الأفراح: (شروح التلخيص: ٣٥/٤).

(٣) المصدر السابق: ٣٦/٤.

(٤) طبع بتحقيق الدكتورة رجاء السيد الجوهري، ونشرته مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية.

(٥) ينظر مثلاً: بغية الوعاة: ٤٠٣/١.

(٦) ينظر: طراز الحلة ٤١٣، ٤١٦، ٤١٨، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٦٠، ٥٠٤.

أنه حين تحدث عن اللف والنشر، وذكر قول الله عز وجل في سورة الأنعام: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ اانتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، قال: "وفي هذه الآية محذوف، وهو المعطوف، وتقديره: وكسبها، وبهذا التقدير تندفع شبهة المعتزلة كالزمنخشري وغيره، إذ قالوا^(١): سوى الله تعالى بين عدم الإيمان، وبين الإيمان الذي لم يقترن بالعمل الصالح في عدم الانتفاع به"^(٢)، ومن هنا نرى أن اللف والنشر كان وسيلة جيدة في الردّ على المعتزلة، فاللف في كلمتين إحداهما مذكورة هي إيمانها، والثانية محذوفة هي كسبها دلّ على حذفها آخر الآية، فنشر كلمة إيمانها قوله تعالى: ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾، ونشر كلمة كسبها قوله سبحانه: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾، وهذا النشر هو القرينة اللفظية على حذف كلمة اللف التي تقابله.

وقد أخذ بهذا الرأي عدد من العلماء^(٣).

* * *

علي بن الحسين بن علي: عز الدين الموصلي (٧٨٩هـ): له كتاب: التوصل بالبديع إلى التوصل بالشفيع^(٤)، وهو كتاب ضمّنه بديعته وشرحها.

(١) ينظر: الكشف: ٦٣/٢-٦٤.

(٢) طراز الحلة: ٥٠٤-٥٠٥.

(٣) ينظر: أنوار التجلي: ٢٤/١ب-٢٥ نقلًا عن مغني اللبيب لابن هشام. وانظر: البلاغة والنقد في شروح البديعيات: ٩٧٩/٢-٩٨١.

(٤) ما يزال الكتاب مخطوطاً، ولدي منه نسخة مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية ذات الرقم: ٦٠٧ بلاغة.

والموصللي حنبلي^(١) يشعر من يقرأ كتابه أنه من أهل السنة، والله أعلم.
وسبب نظمه لبديعيته التي شرحها في كتابه هو الردّ على صفي الدين الحلبي
حين عرّض بالنيل من الصحابة، كما مرّ معنا سابقاً، يقول الموصللي موضحاً
سبب نظمه لبديعيته: "نظمتها تابِعاً لعبدالعزیز"^(٢) المذكور، وجرّدتُ على
المتشيعين سيفها المشهور، لأنني رأيته عرّض بشيء من ذلك... في أثناء
قصيدته..."^(٣)، وفي باب جمع المؤلف والمختلف ذكر بيت الحلبي، ثم ذكر بيته
هو إذ يقول فيه:

هم هم في جميع الفضل ما عدموا

ما قاله الرافضي النذل ذو الصمم

ثم علل هذا النقد العنيف المستحق بقوله: "...لأنه كذب في الثلاثة التي
استثناها، لأن النبي ﷺ قال: لو كنت متخذاً خليلاً من الناس، لاتخذت أبا بكر...
وذكر الله أبا بكر في القرآن"^(٤)، ثم شرع في تعداد فضائل الصحابة، وقال: "هذا
إجماع أهل السنة - حفظهم الله كما حفظوا الدين -، وأما قول عبدالعزیز: هم هم
... لا يفهم منه مدح، وهذه الأمور الدينية التي لا يحب فيها ولا يبغض إلا الله وفي
الله ينبغي العمل فيها بإخلاص على حكم التقوى، لا بحمية الجاهلية، وهو
الأنفس"^(٥)، وهذا النقد الذي يعقب بشذا الذبّ عن أعراض صحابة رسول الله ﷺ
إخاله دليلاً على حسن معتقد الموصللي، والله أعلم.

(١) ينظر مثلاً: الدرر الكامنة: ١١٣/٢.

(٢) عبدالعزیز بن سرايا هو صفي الدين الحلبي.

(٣) التوصليل بالبديع: ١٤.أ.

(٤) التوصليل بالبديع: ٧٢.ب.

(٥) التوصليل بالبديع: ٧٢.ب.



سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (٧٩١هـ): له ثلاثة كتب في البلاغة، اثنان منها شرح لتلخيص الخطيب القزويني: أحدهما مختصر^(١)، والثاني مطول^(٢)، والكتاب الثالث شرح^(٣) فيه القسم الثالث من كتاب مفتاح العلوم للسكاكي.

وصفه أحد الباحثين أنه "ماتريدي صُلْب"^(٤)، بل جعله^(٥) فيلسوف الماتريدية.

ولهذا فلا نستغرب إن وجدنا له مواقف إيجابية كرده^(٦) على الزمخشري في حديثه عن الحمد وبيان السر في تقديمها، ونوع الألف واللام فيها، فقد بين أن صاحب الكشف قد بنى رأيه على معتقده الاعتزالي في خلق أفعال العباد.

كما لا نستغرب وقوعه في مخالفة منهج أهل السنة حين أوّل بعض الصفات في عدد من المواضع، ففي حديثه عن المجاز بالحذف أوّل صفة المجيء^(٧)، وفي

(١) ويسمى مختصر المعاني طبع مرات عديدة منها طبعة بتعليق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، ونشر (انتشارات سيد الشهداء).

(٢) صور عن طبعة حجرية قديمة، ومن صور ما نشرته مكتب الداودي بقم.

(٣) ينظر: ما ذكره السيوطي في بغية الوعاة: ٢٨٥/٢.

(٤) الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات، للشمس الأفغاني: ٢٩٣/١.

(٥) الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات: ٢٩٤/١.

(٦) المطول: ٦-٧.

(٧) المطول: ٤٠٦.

المجاز المرسل أول صفة اليد^(١)، وفي مراعاة النظر أنكر الرؤية^(٢)، وفي المشاكلة أول النفس^(٣)، وفي التورية أول الاستواء^(٤).

* * *

أبو بكر بن حجة الحموي (٨٣٨هـ): له بديعية سماها تقديم أبي بكر^(٥) وشرحها، ونشر الشرح بعنوان: خزانة الأدب^(٦)، وله: كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام^(٧)، وله ثبوت الحجة على الحلبي والموصلي^(٨).
ومع أن ابن حجة جعل اسم بديعيته تقديم أبي بكر مورياً باسم الصديق رضي الله عنه وباسمه هو، ومع متابعتها^(٩) لعزالدين الموصلي في نقد الحلبي، حين عرّض بالصحابة رضوان الله تعالى عليهم، فإنه وقع في بعض المخالفات العقدية - غفر الله لنا وله - حين جعل^(١٠) قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿تَعْلَمُ مَا

(١) المصدر السابق: ٤٠٦، ٤٢٥.

(٢) المصدر السابق: ٤٢٠.

(٣) المصدر السابق: ٤٢٢.

(٤) المصدر السابق: ٤٢٥.

(٥) ينظر: خزانة الأدب: ١٨.

(٦) طبع طبعات حجرية قديمة، وصدرت له طبعة عن دار الهلال: ١٩٨٧م.

(٧) صدر عن المطبعة الأنسية، بيروت، سنة ١٣١٢هـ.

(٨) في هذا الكتاب أجهد ابن حجة نفسه ليثبت تميز أبيات بديعيته على أبيات بديعيتي الحلبي والموصلي اللذين سبقاه في هذا الباب، ويعد الكتاب نموذجاً للدراسة النقدية في السرقات، وهو ما يزال مخطوطاً ولدي منه نسخة مصورة عن نسخة برلين ذات الرقم: ٧٣٦٩.

(٩) خزانة الأدب: ٤٠٦/٢.

(١٠) المصدر السابق: ٢٥٢/٢.

فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١﴾ ، وكذا قوله عز وجل في سورة آل عمران: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكِرِينَ﴾ من باب المشاكلة فهذا تأويل يخالف مذهب أهل السنة.

بقي أمران يحسن التنبيه عليهما بشأن ابن حجة. أولهما: صفة التعالي والعجب بالنفس، والتنقص من الآخرين، صفة ظاهرة في كتابه.

وثانيهما: كثرة إيراد الغزل الفاحش، وبخاصة التغزل بالغلمان. وهذان الأمران وإن لم يكونا مطعنين في المعتقد إلا أنهما مظهر عيب وفسق.

* * *

جلال الدين السيوطي (٩١١هـ): له في البلاغة عقود الجمان^(١)، وفتح الجليل للبعد الدليل^(٢)، ومجاز الفرسان إلى مجاز القرآن^(٣)، وله بديعته وشرحها^(٤)، وله جنى الجناس^(٥)، وله نكت على تلخيص المفتاح^(٦) لم يكمله،

(١) أرجوزة وشرحها، نظم بها ما حواه تلخيص القزويني وزاد عليه، صدرت له طبعة قديمة عن مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، سنة ١٣٥٨هـ.

(٢) رسالة استخراج فيها السيوطي مائة وعشرين نوعاً بلاغياً من آية واحدة، طبعت بتحقيق عبدالقادر أحمد عبدالقادر، ونشرتها دار البشير، عمان، ١٤١٢هـ.

(٣) ذكر السيوطي أنه اختصر فيه كتاب العز بن عبدالسلام وزاد عليه، انظر: الإتيقان: ٧٥٣/٢.

(٤) واسم البديعية نظم البديع في مدح خير شفيع، طبعت في المطبعة الوهبية، ١٢٩٨هـ.

(٥) طبع بتحقيق د. محمد علي رزق الخفاجي، ونشر بالدار الفنية.

(٦) ينظر: مقدمة محقق جنى الجناس، ص ٧.

وله في بيان أسرار القرآن البلاغية: قطف الأزهار في كشف الأسرار^(١)، وله في علوم القرآن: الإتيقان^(٢)، ومعتك الأقران^(٣)، أودعهما أحاديث مهمة عن بلاغة القرآن.

ومع ما للسيوطي من فضل في كثرة مؤلفاته، وحرصه على بيان بلاغة القرآن، وإسهامه في التأليف البلاغي، فقد وقع منه ما خالف به منهج أهل السنة مثل:

١- تأويله لصفة المجيء في باب الحذف، وجعل المراد مجيء الأمر أو العذاب^(٤).

٢- تأويله للقبضة واليمين في باب التخيل^(٥)، ومتابعته للطبيي.

٣- تعليقه بما يفهم منه متابعة القزويني والسكاكي والزمخشري في إنكار الرؤية في باب تشابه الأطراف، يقول: "فإن اللطف يناسب ما لا يدرك بالبصر، والخبرة تناسب ما يدرك"^(٦).

(١) كتاب تتبع فيه ما قيل في نظم القرآن وأسراره البلاغية، وحشد فيه نقولاً متنوعة، وكان يبيد رأيه في كثير من المواضع بدأ بسورة الفاتحة وانتهى بالآية الثانية والتسعين من سورة التوبة. طبع بتحقيق الدكتور أحمد بن محمد الحمادي، وإصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، ١٤١٤هـ.

(٢) الإتيقان طبع طبعات عديدة منها طبعة بتقديم وتعليق الدكتور مصطفى ديب البغا، ونشر دار ابن كثير بدمشق، وبيروت، ١٤٠٧هـ.

(٣) طبع بتحقيق علي محمد البجاوي، ونشر بدار الفكر العربي.

(٤) عقود الجمان: ٧١.

(٥) المصدر السابق: ١٠٠.

(٦) المصدر السابق: ١٠٩.

- ٤- تأويله لصفتي: النفس ، والمكر في باب المشاكلة ، يقول: "فإن إطلاق النفس والمكر في جانب الباري تعالى إنما هو مشاكلة"^(١).
- ٥- تأويله لصفتي: الاستواء ، واليد في باب التورية^(٢).

* * *

ابن كمال باشا (٩٤٠هـ): له في البلاغة: تغيير المفتاح^(٣)، وشرح تغيير المفتاح^(٤)، وشرح مفتاح العلوم^(٥)، وحواش على شرح المفتاح للسيد الشريف^(٦)، والمزايا والخواص في الأسلوب البلاغي^(٧)، ورسالة في تحقيق معنى النظم والصياغة^(٨)، ورسالة في مدار التجوز في الألفاظ^(٩)، ومشاركة صاحب المعاني اللغوي في البحث عن مفردات الألفاظ^(١٠)، ورسالة في تحقيق

(١) عقود الجمان: ١١٠-١١١.

(٢) المصدر السابق: ١١٣.

(٣) مختصر للقسم الثالث من المفتاح للسكاكي، يوجد منه نسختان مخطوطتان في مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض.

(٤) مخطوط منه نسخة في مكتبة لاله لي برقم: ٢٨٥٨.

(٥) ذكره الدكتور محمد أبو الفتوح، وأشار إلى أن له نسخة مخطوطة في الأسكوريال. انظر: ثلاث رسائل في اللغة: ١٢.

(٦) ينظر: شذرات الذهب: ٢٣٩/٨.

(٧) طبع بتحقيق الدكتور حامد قنيبي، وانظر: بحوث ودراسات في اللغة العربية وآدابها: ٥١١/٢-٥٥٢.

(٨) يوجد منها نسختان مخطوطتان في جامعة الملك سعود بالرياض، ونسخة من مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وعلمت أن الدكتور حامد قنيبي حققها.

(٩) علمت أن الدكتور قنيبي حققها.

(١٠) حققها الدكتور محمد حسين أبو الفتوح في ثلاث رسائل في اللغة: ١٦٦-١٩٧.

المشاكلة^(١)، والتوسع في لغة العرب^(٢)، والتوسعات^(٣)، ورسالة في الفصاحة^(٤)، ورسالة في صياغة الكلام^(٥)، ورسالة في تقسيم المجاز^(٦)، ورسالة في تحقيق التغليب^(٧)، ورسالة في بيان الأسلوب الحكيم^(٨).

جعله أحد الباحثين من الماتريديّة^(٩).

ومما يمكن تسجيله ما ذكره في رسالة المشاكلة حين نقل قول السيد الشريف: "لا يطلق لفظ النفس إلا مشاكلة"^(١٠) عقب عليه بقوله: "أقول: هذا مردود لوقوع إطلاقه عليه تعالى بلا مشاكلة في قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾، وقوله ﷺ: (لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك)"^(١١).

(١) حققها الدكتور ناصر الرشيد ضمن رسائل ابن كمال باشا: ٦٧-٧٦.

(٢) حققها الدكتور ناصر الرشيد أيضاً: ٥٣-٦٥.

(٣) وهي غير التوسع، ولها عدد من النسخ في مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض.

(٤) منها نسخة مخطوطة في مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض.

(٥) كذلك لها نسخة في مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض.

(٦) منها نسخة مخطوطة في مكتبة جامعة الملك سعود، وأخرى في مركز الملك فيصل.

(٧) حققها الدكتور ناصر الرشيد ضمن رسائل ابن كمال باشا: ٣٧-٥١.

(٨) حققها وصدرتها بدراسة موسعة عن الأسلوب الحكيم، ونشرت الطبعة الأولى منها في مجلة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الخامس عشر، شعبان، ١٤١٦هـ، ثم

نشرت ذلك في كتاب مستقل، نشر دار إشبيلية عام ١٤٢٢هـ، وذكرت أرقام المخطوطات

لكتب ابن كمال ورسائله البلاغية: ١٩-٢٣.

(٩) الماتريديّة وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات للشمس الأفغاني: ٣١٥/١.

(١٠) رسائل ابن كمال باشا تحقيق د. ناصر الرشيد: ٧٤-٧٥.

(١١) صحيح مسلم: ٤٢/١.

وابن كمال لا يعترض على جعل لفظ النفس من المشاكلة، وإنما يعترض على كلام السيد الشريف من أنه لا يطلق إلا مشاكلة.

وقد جعل ابن كمال باشا من المشاكلة قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، مشاكلة مع قوله في سورة المائدة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤].

فما أصلحه في حديثه عن صفة النفس أفسده بتأويل صفة اليد غفر الله لنا وله.

* * *

يوسف بن مرعي الحنبلي (١٠٣١هـ): له كتاب: القول البديع في علم البديع^(١)، وهو من أعلام الحنابلة^(٢).

وقفت على مخالفة له لمذهب أهل السنة إذ جعل^(٣) قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] مثلاً للتورية، وهذا فيه متباعدة للخطيب القزويني الذي مثل بهذه الآية على التورية، وفي ذلك تأويل لصفة الاستواء.

* * *

الحسن بن عثمان المفتي (١٠٥٩هـ): له كتاب خلاصة المعاني^(٤)، وكتاب المستصفي من التلخيص^(٥)، يكاد هذا المؤلف يكون مجهولاً^(٦)، فلم يظفر محقق خلاصة المعاني بترجمة تكشف عن حياة هذا المؤلف، بله معرفة معتقده.

(١) طبع الكتاب بتحقيقي ونشر عام ١٤٢٥هـ، نشر كنوز إشبيلية.

(٢) ينظر: النعت الأكمل للعامري: ١٨٩، وانظر: آثار الحنابلة في علوم القرآن: ١٥٩-١٦٢.

(٣) القول البديع في علم البديع: ١٨٣ تحقيق د. محمد الصامل.

(٤) طبع بتحقيق الدكتور عبد القادر حسين، وصدر عن (الناشرون العرب) بالرياض.

(٥) ينظر: خلاصة المعاني: ٦، ٨٧.

(٦) ينظر: ما قاله المحقق ص ٦.

ويظهر أن اقتداءه بالخطيب القزويني أوقعه في تأويل ثلاث صفات هي :
صفة المجيء في باب الحذف^(١)، وصفة الاستواء في باب التورية^(٢)، وصفة
النفس في باب المشاكلة^(٣).

* * *

محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١٢٥٠هـ) : له كتاب : الروض
الوسيع في الدليل المقنع على عدم انحصار علم البديع^(٤).
والشوكاني من كبار علماء اليمن^(٥)، عقيدته عقيدة أهل السنة والجماعة.
وكتابه البلاغي الآنف الذكر كتاب موجز يكشف عنوانه عن مضمونه، إذ
ألفه رحمه الله ليدلل على أن علم البديع غير محصور بأنواع محددة، فقد
ذكر أنواعاً من البديع جديدة جُلُّها من الأنواع المركبة، ويذكر لكل نوع
مثالاً أو أكثر.

* * *

وبعد هذا العرض، يحسن أن أختتم الحديث بإعطاء لمحة سريعة عن توجه
لدراسة رأي أهل السنة في البلاغة في العصر الحديث.

(١) خلاصة المعاني : ٢٩٢.

(٢) خلاصة المعاني : ٤١٩.

(٣) خلاصة المعاني : ٤١٥.

(٤) الكتاب لا يزال مخطوطاً، وقد تكرم الشيخ عبدالمحسن العسكر بإحضار نسخة من هذا الكتاب
من مكتبة جامع صنعاء، والنسخة بخط المؤلف، ولعل الله ييسر أمر تحقيقها في قابل الأيام.

(٥) ينظر: الأعلام للزركلي : ١٩٠/٧-١٩٢، وينظر: حديثه عن نفسه في البدر الطالع :

٢٢٥-٢١٤/٢.

التوجه لدراسة رأي أهل السنة في البلاغة في العصر الحديث

كان من توفيق الله لي أن أشترك^(١) مع زملائي في قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي بكلية اللغة العربية بالرياض في دراسة وضع فقر منهج الإعجاز البياني للقرآن الكريم في السنة المنهجية لمرحلة الماجستير، إذ عهد إلي القسم بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور فريد محمد النكلاوي وضع تصور لمفردات المنهج، وكان من الأولويات التي رغبت في اقتراحها إظهار رأي أهل السنة في الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ووجد هذا الاقتراح موافقة وتأييداً من الأستاذ الدكتور فريد النكلاوي وفقه الله، وحين عرض التصور على مجلس القسم الموقر تساءل بعض أعضائه عن المصادر التي يمكن الرجوع إليها في هذا الموضوع!!!، فقليل له إن الأمر يحتاج إلى شيء من الجهد لمعرفة رأي أهل السنة في هذا الإعجاز، لأن رأي المعتزلة والأشاعرة خدم كثيراً، لوجود من يتبنى رأيهم وينشره بين الناس، وأهل السنة أحق بجهدنا من غيرهم، إضافة إلى أن طرح مثل هذا الموضوع الجديد!! يتلاءم مع طبيعة الدراسات العليا، ووافق المجلس مشكوراً على إضافة هذه الفقرة، وتبع ذلك تأييد من المجالس العلمية الأخرى، ومنذ ذلك الحين ونفسي تراودني بالتفرغ للكتابة في هذا الموضوع، غير أن أعباء العمل وصوارف الحياة حالت دون ذلك.

وتجاوز الأمر مسألة المنهج إلى حث طلاب الدراسات العليا في قسم البلاغة في مرحلتي الماجستير والدكتوراه على التنبيه إلى إبراز رأي أهل السنة في القضايا

(١) كان ذلك في نهاية العام الجامعي ١٤١٠هـ.

التي يدرسونها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، بل كانت تدون في مخططات بعض البحوث فُقرَّت نص على ذلك.

وقد قُدِّمَتْ - بحمد الله - أبحاث علمية بلاغية روعي فيها إبراز رأي أهل السنة في بعض قضاياها سواء في التنبيه على قضية تخدم أهل السنة، أم في الرد على من يخالفهم، ومن هذه الأبحاث:

١- رسالة الدكتوراه لصالح بن محمد الزهراني، وعنوانها: (بلاغة القرآن في سورة البقرة).

٢- رسالة الدكتوراه لناصر بن عبدالرحمن الحنين، وعنوانها: (النظم القرآني في آيات الجهاد).

٣- رسالة الماجستير لإبراهيم بن عبدالعزيز الزيد، وعنوانها: (البلاغة القرآنية في ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي: دراسة وتقويماً).

٤- رسالة الماجستير لعبدالمحسن بن عبدالعزيز العسكر، وعنوانها: (أسلوب الإنشاء في سور المفصل لمن سورة ق إلى سورة الناس): دراسة تحليلية تطبيقية).

٥- رسالة الماجستير لعويض بن حمود العطوي، وعنوانها: (الضمير المنفصل في النظم القرآني: دراسة بلاغية تطبيقية).

٦- رسالة الماجستير لعلي بن خليفة السلطان، وعنوانها: (الأسرار البلاغية في سورة هود).

٧- رسالة الماجستير لأحمد بن صالح السديس، وعنوانها: (النفي في القرآن الكريم: دراسة بلاغية).

٨- رسالة الماجستير لإبراهيم بن منصور التركي ، وعنوانها : (البلاغة عند شيخ الإسلام ابن تيمية).

٩- رسالة الماجستير لسليمان بن عبدالعزيز الربيعي ، وعنوانها (التوجيه البلاغي لآيات العقيدة بين الطبري والزمخشري في تفسيرهما).

١٠- رسالة الماجستير ليوسف بن عبدالله العليوي ، وعنوانها (التوجيه البلاغي لآيات العقيدة في المؤلفات البلاغية في القرنين السابع والثامن الهجريين).

١١- رسالة للمعيد في كلية أصول الدين محمد بن فهد الداود ، وعنوانها : (منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال باللغة العربية على مسائل العقيدة) وكنت مشرفاً مساعداً عليها.

وكان من فضل الله عليّ وتوفيقه لي أن أشرفت على خمس رسائل من تلك الرسائل ، وشاركت في مناقشة ثلاث أخرى.

ولا أدعي أن إظهار رأي أهل السنة مقصور على تلك الرسائل التي ذكرتها آنفاً ، لكن ذلك ما أعرفه عن كتب ، وربما خفيت عني جهود أخرى أدعو لأصحابها بالتوفيق والسداد ، والله الموفق للجميع.

وإنه لما يسعدني أن أرى هذا التوجه قد شق طريقه في رحاب البحث العلمي الرصين.

وهذا الكتاب الذي بين يديك -أيها القارئ الكريم- ما هو إلا ثمرة من ثمار هذا التوجه المبارك إن شاء الله ، ولعله يكون ممهداً للدخول في دراسات مستفيضة تهتم بإظهار رأي أهل السنة في قضايا البلاغة كلها.

ولعل من بوادر ذلك ما أعده الزميل الكريم الدكتور عبد المحسن العسكر
وهما بحثان :

الأول: عن الاقتباس أنواعه وأحكامه .

والثاني: عن إصلاح الإيضاح ، تتبع فيه ما وقع من القزويني من هفوات
وبخاصة في الجانب العقدي .

وجوه خدمة المعتقد في البحث البلاغي

مما سبق عرضه من مؤلفات بلاغية يتضح أن أكثر الفرق تأليفاً في البحث البلاغي هم المعتزلة والأشاعرة والماتريدية، ثم يأتي بعد ذلك أهل السنة، وحين نلقي نظرة سريعة على انتماءات البلاغيين نجد أن معظمهم لا يخرج عن هذه الفرق ما عدا فئتين: الفئة الأولى: فئة الشيعة، وقد يجتمع في الشخص الاعتزال والتشيع، بل إن متأخري الشيعة انقلبوا معتزلة في الأصول، والفئة الثانية: هي التي لم يصرح المترجمون بانتماءاتهم، ولا يظهر من مؤلفاتهم البلاغية ما يخالف منهج أهل السنة إلا في مواضع قليلة لا تعين على حسم مسألة الانتماء.

وقد وقفت على وجوه متعددة في مجال خدمة المعتقد من خلال البحث البلاغي ومن ذلك:

١- نشوء فكرة بلاغية نقدية بسبب الخلاف العقدي:

يرجع بعض الباحثين أسباب نشأة الاختلاف في قضية اللفظ والمعنى إلى الخلاف بين بعض الفرق في معنى كلام الله عز وجل.

يقول الدكتور مهدي السامرائي في كتابه: (تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية)، بعد أن تحدث عن خلاف المعتزلة والأشاعرة في معنى كلام الله: "لا غرابة إذن... أن ينشأ في جو هذا الخلاف مذهبان في البلاغة العربية:

مذهب اللفظيين، وهو يتعصب للفظ على المعنى.

مذهب المعنويين: وهو ينصر المعنى على اللفظ^(١).

والعلاقة بين الموضوعين تتمثل في أن الكلام عند المعتزلة هو الألفاظ المسموعة^(٢)، وعند الأشاعرة: هو القول القائم بالنفس^(٣)، يعني المعنى.

أما مَنْ ينصر اللفظ، ومن يقدم المعنى، فلم يوفق الباحث في عرضها كما أرى.

٢- أن يكون الجانب العقدي هو سبب تأليف الكتاب:

ويمكن التمثيل لهذا الأمر بالأمثلة التالية:

الأول: تأليف ابن قتيبة (٢٧٦هـ) يرحمه الله لكتابه تأويل مشكل القرآن، فقد ذكر أنه ألف للرد^(٤) على الطاعنين في القرآن من وجوه متعددة منها اشتماله على المجاز، وبعض الأساليب التي يظن أنها مخالفة للغة العربية مثل: الزيادة والتكرار وغيرهما.

الثاني: تأليف عز الدين الموصلي لبديعته وشرحها المعروف بالتوصل بالبديع إلى التوصل بالشفيع^(٥)، وسببه الرغبة في معارضة صفى الدين الحلبي والرد على تشييعه.

(١) تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية: ٧٨.

(٢) ينظر: العقيدة السلفية في كلام رب البرية، لعبدالله الجديع: ٢٧٧، وتأثير الفكر الديني:

٧٨.

(٣) تأثير الفكر الديني: ٧٨.

(٤) تأويل مشكل القرآن: ٢٢-٢٣.

(٥) التوصل بالبديع: ٤٤ (مخطوط).

الثالث: الحواشي التي ألفت على الكشف، وكذا بعض مختصراته كتفسير البيضاوي كان السبب فيها عقدياً فإما أن يكون رغبة في التأييد، أو لكشف اعتزالياته التي أودعها الكشف، وقد عدد الدكتور مصطفى الجويني^(١) أكثر من ثلاثين كتاباً أو حاشية على الكشف، وقد بينت حين تحدثت عن الزمخشري أن الحواشي والشروح تجاوزت الثمانين.

٣- أن تظهر خدمة المعتقد من عنوان الكتاب:

فقد ألف أبو بكر بن حجة الحموي (٨٣٨هـ) بديعيته وشرحها، وسمى البديعية (تقديم أبي بكر)^(٢)، وقد أراد التورية بأبي بكر الصديق، الصحابي الجليل ﷺ، فابن حجة أراد بيان رأيه في تقديم أبي بكر على الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وورى باسمه وهو (أبو بكر)، ليفصح عن منزلته بين مؤلفي البديعيات، لأنه اطلع على ما ألف الصفي الحلي المتشيع، وما ألفه العز الموصلي السني.

والمثال الثاني ما سَمَّى به ابن معصوم المدني (١١٢٠هـ) الذي سَمَّى بديعيته (تقديم علي)^(٣)، وهو شيعي واسمه علي بن معصوم، وغرضه من التورية ظاهر.

٤- أن تكون خدمة المعتقد الغاية من تأليف الكتاب:

وخير من يمثل هذا الأمر القاضي عبد الجبار (٤١٥هـ) في تأليفه لكتابه: (المغني في أبواب التوحيد والعدل) فالجزء السادس عشر خاص بإعجاز

(١) منهج الزمخشري: ٢٧١-٢٧٥.

(٢) خزانة الأدب مقدمة المؤلف.

(٣) البديعيات في الأدب العربي: ١٢٣.

القرآن^(١) وكتابه الآخر: (متشابه القرآن)^(٢)، فقد كان فيهما وفي غيرهما منظرًا لمذهب^(٣) الاعتزال مستنداً على القواعد البلاغية في ذلك.

والمثال الثاني هو تأليف الزمخشري (٥٣٨هـ) للكشاف، وغاية الزمخشري أوضح من أن يُثَبَّت، فقد نبّه عليها مجموعة كبيرة من العلماء غير الذين صنفوا الحواشي على تفسيره.

ومن هؤلاء العلماء الذين نبهوا على غاية الزمخشري: تاج الدين السبكي حكاية عن والده تقي الدين السبكي الذي كان "يقرئ الكشاف لتلاميذه، ولكنه حين وصل إلى كلام الزمخشري في سور التكوير: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: ١٩] أعرض عنه صفحاً، وكتب ورقة حسنة سمّاها: (سبب الانكفاف عن إقراء الكشاف)"^(٤)، عرض فيها نماذج من مخالفات الزمخشري العقدية، وبخاصة نيّله من رسول الله ﷺ.

كما صرّح العلامة ابن خلدون (٨٠٨هـ) بهذه الغاية عند الزمخشري، ومما قال، وهو يتحدث عن الكشاف: "إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد، فيأتي الحجاج على مذاهبهم الفاسدة، حيث تعرض له في آي القرآن من طرق البلاغة"^(٥)، وقال في موضع آخر: "... فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير،

(١) مطبوع بتحقيق أمين الخولي.

(٢) مطبوع بتحقيق الدكتور عدنان محمد زرزور، دار التراث، القاهرة.

(٣) ينظر: بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار، والمنحى الاعتزالي في البيان وإعجاز القرآن.

(٤) معيد النعم ومبيد النقم لتاج الدين السبكي: ٨٠، ٨١ طبعة الخانجي: ط ١، ١٣٦٧هـ،

ينظر: منهج الزمخشري: ٢٦٧.

(٥) مقدمة ابن خلدون: ٤٤٠، وينظر: منهج الزمخشري: ٢٦٥.

لولا أنه يؤيد عقائد أهل البدع عند اقتباسها من القرآن بوجوه البلاغة"^(١)، ويقول الدكتور مصطفى الجويني: "أما الناحية الأخرى من شخصيته كمعتزلي، فهي ناحية الاعتزال الصرف، وفيها يبدو الزمخشري مفسراً للقرآن ملتزماً بمبادئ الاعتزال، ينظر الزمخشري إلى القرآن نظرة عامة، فيجعل الآي المناصرة ظواهرها للمذهب الاعتزالي محكمة، وتلك التي تخالفه متشابهة، ثم يرد المتشابه إلى المحكم، ليخضع تفسيرها للرأي الاعتزالي"^(٢)، هذا رأي من تتبع الزمخشري وبيّن منهجه في تفسيره.

ولقد اتقن الزمخشري تطويع تفسير آي القرآن لخدمة الاعتزال حتى قال عنه البلقيني: "استخرجت من الكشف اعتزالاً بالمناقش"^(٣).

٥- وجود أحد الأنواع البلاغية:

لعل أهم ما يمثل هذا الجانب هو باب المجاز الذي اتكأ عليه المعتزلة في تسويغهم لكثير من آرائهم.

يقول أحد الباحثين عن دوافع المعتزلة المباشرة لبحث المجاز: "إن المعتزلة وجدوا في بعض آي القرآن ونصوص الحديث ما ظاهره متعارض مع أصولهم وعقائدهم، وأنهم اجتهدوا في تأويل تلك النصوص وتفسيرها تفسيراً يوافق مذهبهم، وفي هذا التأويل كانوا يحاولون صرف الألفاظ عن ظاهرها القريب وإعطائها معاني أخرى وراء الظاهر... ومن هنا يمكن اعتبار بعض أصول

(١) مقدمة ابن خلدون: ٥٥٣، وينظر: منهج الزمخشري: ٢٦٥.

(٢) منهج الزمخشري: ١٠٦.

(٣) الإتيان للسيوطي: ١٢٣٦/٢، وينظر: منهج الزمخشري: ٢٦٩.

الاعتزال دوافع مباشرة لدرس المجاز في القرآن والحديث وفي اللغة العربية عامة^(١)، ويشير باحث^(٢) آخر إلى اتكاء الفرق الباطنية على المجاز في تأويل نصوص القرآن الكريم.

ولنفترض أن المجاز إنما نشأ لخدمة معتقد هؤلاء ليكون وسيلة يصرفون بها ظاهر الآيات التي تعارض معتقداتهم، فهل هذا يسوغ إنكار المجاز كله من اللغة والقرآن؟

أقول إن المجاز يمكن تحويله إلى وسيلة نافعة على الرغم مما شاب نشأته من ملابسات.

فالذرة حين صنعت استخدمت للتدمير وإهلاك الحرث والنسل.
والآن تستخدم في الصناعات السلمية مما يعود على البشرية بالخير.
وأشعة الليزر بدأت سلاحاً حروبياً، ثم صارت من وسائل العلاج الناجعة.
وأجهزة التسجيل بدأت قاصرة على الغناء واللهو والطرب، ثم صارت وسيلة لنشر الخطب والمحاضرات وهكذا.
ولهذا فالمجاز وسيلة مثله مثل اللغة نفسها فقد ينطق بها المتكلم فيكون متعبداً لله فيما يقول، وقد يتلفظ بأقوال شركية.
والوسيلة قد تستخدم في الخير فتكون خيراً، وقد توظف لغير ذلك فتكون وسيلة هلاك، وليست السيارة عنا ببعيد، فهي وسيلة انتقال مريحة لمن يحسن استخدامها، وهي آلة دمار وهلاك لصاحبها ولغيره إذا تهور في قيادتها!!

(١) المنحى الاعتزالي : ١٧٢.

(٢) تأثير الفكر الديني في البلاغة : ١١٨-١١٩.

٦- تحديد أقسام النوع البلاغي:

وأحياناً يكون المعتقد مُسَيِّراً لمعتنقه، ليوظف تحديده للمفهوم وأقسامه، كما حصل مع الجاحظ عندما تحدث عن مفهوم الخبر من حيث الصدق والكذب وأقسامه حيث يرى^(١) أنه ثلاثة أقسام:

- ١- ما وافق الواقع والاعتقاد فهو صادق.
 - ٢- ما وافق أحدهما وخالف الآخر فهو ليس بصادق ولا كاذب.
 - ٣- ما خالفهما فهو كاذب.
- وقد خالف رأي شيخه النظام الذي يرى أن الخبر الصادق هو ما وافق الاعتقاد، وما خالفه فهو كاذب.
- وإن تقسيم الجاحظ يذكرنا بمقولة المعتزلة إن الناس مؤمن وكافر وفي منزلة بين المنزلتين^(٢).

٧- مخالفة القاعدة البلاغية:

اتفق جمهور^(٣) البلاغيين على تقديم المسند إليه المسبوق بالنفي، ومجيء المسند فعلياً -سواء أكان فعلاً أم مشتقاً- فإنه يفيد القصر من خلال هذا التركيب فقد ذكر الزمخشري نفسه هذه القضية في عدد^(٤) من تطبيقاته.

(١) ينظر: تلخيص المفتاح للقرظيني، ومختصر السعد، ومواهب الفتح، وعروس الأفراح كلها نسبت ذلك للجاحظ (شروح التلخيص: ١٨١/١-١٨٢).

(٢) ينظر: المعتزلة وأصولهم الخمسة: ٢٥٥-٢٦٤.

(٣) ينظر مثلاً: دلائل الإعجاز: ١٢٤-١٢٧، وينظر: الإيضاح للقرظيني: ٥٣/٢، ومختصر السعد، وعروس الأفراح، ومواهب الفتح (شروح التلخيص: ٣٩٦/١).

(٤) ينظر مثلاً: الكشف: ٢٨٩/٢.

ولكنه سرعان ما يهرب منها إذا اصطدمت مع معتقده، ولنقف على حديثه^(١) عن قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُمْ لَسَخَّطْنَا عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ﴾ كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ حيث جعل التقديم هنا للتقوية والتوكيد وليس للحصر، لأنه يعلم أن جعله للحصر يقتضي أن يكون المعنى: وما هؤلاء خاصة بخارجين من النار، وهذا يعني أن غيرهم كأصحاب الكبائر مثلاً يمكن خروجهم من النار، لكن المعتزلة يرون خلود صاحب الكبيرة في النار، وأنه لا خروج له منها. هذا شأن الزمخشري فهو كما يقول أحد الباحثين: "لا يتورع أن يتصرف في معاني الألفاظ وفنون البلاغة، ليكيفها كيف يشاء في سبيل ألا يخرج على قاعدة من قواعد الاعتزال"^(٢).

٨- إيراد أمثلة لأحد الأنواع البلاغية من القرآن الكريم:

بعض الأنواع البلاغية يصعب أن يُذكر لها شاهد من القرآن الكريم، لتنزيه كتاب الله عن الاشتغال على مثل تلك الأنواع مثل: الهزل يراد به الجحد، والإعنات، وغيرهما من الأنواع التي تختص بالشعر. ويمكن أن نلقي نظرة على الفرق بين الأنواع التي أوردها ابن أبي الإصبع المصري في كتابه تحرير التعبير حيث بلغت مائة وواحداً وعشرين

(١) الكاشف: ٢١٢/١، وينظر: الضمير المنفصل في القرآن الكريم: دراسة بلاغية

تطبيقية: ١٣٣-١٣٧.

(٢) علاقة التفسير بالبلاغة عند الزمخشري، عمر حامد الملاحويش: ١٤٩، وينظر: الضمير

المنفصل: ٦٥.

نوعاً، والأنواع التي وردت عنده في كتابه بديع القرآن حيث اكتفى بخمسة وتسعين نوعاً، والسبب واضح أنه في الكتاب الأول يتحدث عن صناعة الشعر والنثر إضافة إلى إعجاز القرآن الكريم، وأما الكتاب الثاني فهو خاص ببديع القرآن.

ومن الأمثلة على ذلك ذكر مثال من الانسجام من القرآن الكريم، فالانسجام في النثر عندهم هو مجيء الكلام موزوناً، وهذا يدخلنا في مسألة شائكة وهي: هل في القرآن شعر؟، وقد انبرى عدد من العلماء للرد على هذا، في الوقت الذي تجرأ بعض^(١) البلاغيين على ذكر بعض الآيات مكتوبة على هيئة أبيات الشعر، وتحتها تقطيعها العروضي.

٩- تحليل النص:

لعل هذا الوجه من أبرز الوجوه التي يستند عليها كثير من البلاغيين في توجيه النص ليقدم معتقداتهم، وقد مرّت بعض الأمثلة التي تندرج تحتها، كموقف الزمخشري من قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

(١) المفتاح: ٥٩٨-٦٠١، وينظر: البلاغة والنقد في شروح البديعيات في القرن الثامن: ٧١٥

صلة اللغة بخدمة المعتقد

إن كل ما يقال عن قضية خدمة المعتقد من خلال البحث البلاغي يمكن أن يندرج تحت هذا العنوان، فالبلاغة من علوم اللغة، والغرض هنا الإشارة إلى تصريح العلماء في اعتمادهم على اللغة في قضايا المعتقد.

فهذا أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ) يفرد باباً في كتابه الخصائص ويجعل عنوانه: (باب فيما يؤمنه علم العربية من المعتقدات الدينية)^(١)، ثم عرض نماذج من صور المجاز المتعددة.

وهذا الطوفي (٧١٦هـ) يقول: "من الأصول العظيمة التي نشأ النزاع فيها من جهة العربية: اختلاف الشيعة والسنة فيما يتعلق بأبي بكر الصديق رضي الله عنه ومنع فاطمة رضي الله عنها (فدكاً والعوالي)، فإنها لما جاءت تطلب إرثها عن أبيها رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما تركنا صدقة)، ولم يعطها شيئاً، فخاضت الرافضة في أبي بكر، وقالوا منع فاطمة إرثها، وقال أهل السنة، إنما عمل بما سمع، ولم يمنعها حقاً.

ومنشأ الخلاف بينهم من حيث إن (ما) وردت في اللغة على وجهين اسمية وحرفية... لويعدد أنواع (ما) الاسمية والحرفية.

فالرافضة حملوا (ما) في قوله عليه السلام: (ما تركنا صدقة) على أنها نافية، أي إنا لم نترك صدقة، وإنما تركنا ما تركنا إرثاً لغيرنا.

(١) الخصائص: ٢٤٥/٣.

وحملها أهل السنة على أنها موصولة بمعنى الذي ، وتقديره الذي تركناه صدقة بالرفع على الخبر ، وحذف الهاء من تركناه ؛ لأنها ضمير منصوب ، وهو سائغ الحذف في الصلة^(١) ثم فصل القول وبيّن أن الصواب مع أهل السنة لدلالة أول الحديث على نفي الإرث عن الأنبياء نحن معاصر الأنبياء : لا نورث.

ويقول الدكتور السيد أحمد عبدالغفار في كتابه : ظاهرة التأويل وصلتها باللغة ، بعد أن عرض نماذج بيّن فيها كيف تسهم معرفة اللسان العربي في حل مشاكل التأويل ، فقال : "... فقد تؤثر مفردات اللغة بمدلولاتها حسب الوضع في ظاهرة التأويل ، إذ يشار أحياناً إلى دلالة ربما تكون غير مقصودة في السياق ، وهي صحيحة من الناحية اللغوية ، وهذا تقصير من متناول النص ، وليس تقصيراً من اللغة"^(٢) ، أقول ولعل هذا القول ينطبق على فهم الشيعة لـ (ما) في الحديث السابق.

(١) الصعقة الغضبية : ٣٦١ - ٣٦٦.

(٢) ظاهرة التأويل وصلتها باللغة ، د. السيد أحمد عبدالغفار ، ص ١٤٨ ، دار الرشيد ، الرياض.

أثر العجمة في الانحراف العقدي

لا شك في أن النصوص الشرعية جاءت بلسان عربي مبين، وأن إدراك معانيها يتوقف على فهم اللغة ومعرفة قوانينها، وسنن العرب في كلامها.

"وإن أول بدعة ظهرت من المسلمين من قبل العجمة:

قال الأوزاعي رحمه الله: أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن، كان نصرانياً فأسلم، ثم تنصر..."^(١).

ولهذا قال الحسن البصري: أهلكتهم العجمة^(٢) يتأولونه [يعني القرآن] على غير تأويله.

وقال الشافعي: "ما جهل الناس، ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب، وميلهم إلى لسان أرسططاليس"^(٣).

وقال السيوطي: "وجدت السلف قبل الشافعي أشاروا إلى ما أشار إليه من أن سبب الابتداع الجهل بلسان العرب"^(٤)، فهذه الأقوال تؤكد أن الجهل باللغة وعدم معرفة قواعدها، وأساليب استعمالها مظنة الوقوع في الابتداع.

(١) شرح أصول السنة للإكائي: ٧٥٠/٤، ورقم: ١٣٩٨، وينظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد: ٥٠٧/٢.

(٢) التاريخ الكبير للبخاري: ٩٣/٥ برقم: ٢٥٩.

(٣) صون المنطق: ١٥، والكلام على فن المنطق والكلام، لجلال الدين السيوطي، تعليق علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ، وينظر: منهج الاستدلال:

٥٠٨-٥٠٧/٢.

(٤) صون المنطق ١٥.

وإليك هذا النموذج: (أخرج البيهقي عن الأصمعي أنه قال: "جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو بن العلاء -يناظره في وجوب عذاب الفاسق- فقال له: يا أبا عمرو الله يخلف وعده؟ قال: لن يخلف الله وعده، قال عمرو: فقد قال، قال: أين؟ فذكر آية وعيد لم يحفظها أبو عمرو.

فقال أبو عمرو: من العجمة أُتيت، الوعد، غير الإيعاد، ثم أنشد:

وإني وإن أوعدته أو وعدته

سأخلف إيعادي وأنجز موعدتي"^(١)

فهذه الدلائل مجتمعة تؤكد الصلة الوثيقة بين اللغة العربية وخدمة المعتقد، هذا بصفة عامة، وأما علم البلاغة بصفة خاصة -وهو موضوع الحديث- فيحتاج الأمر إلى شيء من البسط والتمثيل.

(١) الجامع لشعب الإيمان: ١٠٣/٢-١٠٥.

نماذج للتوجيه البلاغي المخالف لمنهج أهل السنة

سبق أن أشرت إلى عدد من المخالفات التي وقع فيها كثير من البلاغيين حين تحدثت عن انتمااتهم العقدية، وسأكتفي -هنا- بعرض نماذج للتوجيه البلاغي المخالف لمعتقد أهل السنة :

أولاً: ما أورده أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (٣٨٦هـ) في كتابه النكت في إعجاز القرآن حيث جعل البلاغة فيه عشرة أقسام: ١- الإيجاز، ٢- التشبيه، ٣- الاستعارة، ٤- التلاؤم، ٥- الفواصل، ٦- التجانس، ٧- التصريف، ٨- التضمين، ٩- المبالغة، ١٠- حسن البيان.

قال في حديثه عن المبالغة: "الضرب الثاني من المبالغة بالصيغة العامة في موضع الخاصة، كقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وكقول القائل أتاني الناس، ولعله لا يكون أتاه إلا خمسة فاستكثرهم، وبالغ في العبارة عنهم"^(١)، ويمكن معرفة سرّ هذا التوجيه إذا أدركنا أن الرماني يرغب في نفي ما يتعارض مع رأي المعتزلة بأن الإنسان يخلق أفعاله، ومفهوم "أفعال العباد المباشرة باتفاق المعتزلة أنها مخلوقة للعباد"^(٢)، ولهذا ينفون عن الله خلقها؛ لأن فيها ما هو قبيح.

وهكذا وظّف الرماني المبالغة؛ لتنهض برأيهم في قضية خلق العباد لأفعالهم.

(١) النكت في إعجاز القرآن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ١٠٤).

(٢) المعتزلة وأصولهم الخمسة: ١٦٨.

ثانياً: ذكر بهاء الدين السبكي (٧٧٣هـ) رأياً نقله السكاكي (٦٢٦هـ) في حديثه عن حذف المسند إليه وفوائد ذلك، فقال: "السادس التعيين فيه، أي أن ذلك المسند معين للمسند إليه منحصر فيه، فلا حاجة لذكره، كقولك: خالق لما يشاء أي الله، وقول السكاكي: "لما يشاء لا حاجة لذكره"، وأنه إنما ذكره اعتزالاً؛ لأنهم يرون أن العبد خالق، ولكن لا لكل ما يشاء.

وفيما قيل نظر؛ لأن هذا المثال هو المطابق قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: ٤٥]، وقوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨] فلعل السكاكي لم يقصد بقوله لما يشاء الاحتراز، بل قصد التأسّي بالآية الكريمة^(١).

ويلحظ أن السبكي عندما ردّ على السكاكي إنما اعتمد على السياق القرآني فإذا كان لفظ (كل شيء) ليس صريحاً في المثال الذي أورده السكاكي، فإنه صريح في عدد من الآيات الكريمة، وهذا ما يمكن تصنيفه تحت مفهوم القرينة اللفظية التي سيأتي الحديث عنها.

ثالثاً: نبّه السبكي إلى إحدى اعتزاليات الزمخشري فقال: "تنبيه: قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧] هم هنا بمنزلتها في قول الشاعر:

هم يفرشون اللبد كل طمرة

في دلالة على قوة أمرهم، لا على الاختصاص أه.

(١) عروس الأفراح: (شروح التلخيص: ٢٧٩/١).

وهي دسياسة اعتزال، لأنه لو جعلها -هنا- للاختصاص لزمه تخصيص عدم خروج الكفار، فيلزم خروج أصحاب الكبائر من المسلمين كمذهب أهل السنة، والزمخشري أكثر الناس أخذاً بالاختصاص في مثل هذا وغيره من قواعد البيانين، فإذا عارضه الاعتزال فزع من قواعدهم إليه^(١)، والقاعدة التي تضبط هذا ما أجمع عليه جمهور البلاغيين عند تقديم المسند إليه المسبوق بالنفي على المسند الفعلي، وقد ألمحت إلى ذلك عند ذكر وجوه خدمة المعتقد في البحث البلاغي.

رابعاً: عقب السكاكي على قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّنْ تَقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ بقوله: "أصله لن يتوبوا، فلن يكون قبول توبة، فأوثر الإيجاز، ذهاباً إلى انتفاء الملزوم بانتفاء اللازم، وهو قبول التوبة الواجب في كلمته تعالى وتقدس"^(٢)، ويلحظ أن النفي في الآية الكريمة منصب على قبول التوبة، ويفهم من هذا وجود التوبة ثابتة، وقد نبّه الدكتور عبده زايد على ذلك، وبين أن رؤية السكاكي للنفي أنه شامل للتوبة وقبولها جميعاً، لما بينهما من التلازم.

ثم عقب الدكتور عبده بعد ذكره لنص السكاكي بما يوضح السبب الذي حدا بالسكاكي إلى القول بذلك، فقال: "فإن التلازم بين التوبة وقبولها غير مفهوم إلا على مذهب المعتزلة.

(١) عروس الأفراح (شروح التلخيص: ١/٤٢٤).

(٢) المفتاح: ٢٨٠.

قال التفتازاني: إن اللزوم في الأول مقرر متفق عليه بين الكل، إذ لا نزاع في أن كل ما ثبت يعلمه الله البتة... بخلاف لزوم التوبة لله، فإن ذلك إنما هو عند المعتزلة، وعندنا لا وجوب ولا لزوم بالنسبة إلى الله تعالى^(١)، فهذه المغالطة في الرأي الذي نقله السكاكي المتمثلة في أمرين:

أولهما: لغوي حيث زعم أن النفي للتوبة وقبولها، والواضح من الآية أن النفي خاص بقبولها.

وثانيهما: ادعاء التلازم بين التوبة وقبولها، وهذا عقدي وهو السبب في الزعم الأول، وهما معاً إنما عمد إليهما مع مخالفتهما الصريحة لمفهوم النص، لأن الدافع للقول بهما خدمة المعتقد، وقد مرّ تفصيل الرد على ذلك.

رابعاً: عرض الزمخشري في حديثه عن تعريف الحمد في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فقال: "والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهمّ منهم"^(٢). وقد وقف السبكي مع هذا الرأي مبيناً دافعه للقول به إنما هو "نزعة اعتزال؛ لأنهم يرون أن أفعال العباد مخلوقة لهم، وأنهم يحمدون عليها"^(٣)، ثم انبرى السبكي للرد فقال: "وكان قائل هذا القول لم يطرق سمعه قوله تعالى في سورة النحل: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، وقوله ﷻ عند الصباح: (اللهم ما أصبح بي من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك)^(٤)."

(١) عكس الظاهر: ٢٢-٢٣، وقد نقل نص التفتازاني من شرحه للقسم الثالث من المفتاح وهو مخطوط بدار الكتب المصرية.

(٢) الكشف: ٥٠/١.

(٣) عروس الأفراح: (شروح التلخيص: ٣٦/١).

(٤) عروس الأفراح: (شروح التلخيص: ٣٦/١).

ثم شرع السبكي يتلمس العذر للزنجشري بافتراض بعض الأعذار فقال :
 "وقيل إن أراد أن الألف واللام ليست للاستغراق إذا دخلت على اسم
 الجنس!، وليس كذلك، بل هي الاستغراق عنده وعند الأكثرين.

وقيل إن أراد أن التقدير أحمد الله حمداً، لأنه مفسر بقوله : ﴿إِيَّاكَ
 نَعْبُدُ﴾ فكان المقصود به حمداً خاصاً، فلا تكون للاستغراق وإن أراد ذلك
 ففيه نظر^(١)، فيلحظ هذا الإنصاف من السبكي، لأنه بعد أن كشف دافعه لهذا
 القول، افترض أن معترضاً عليه يعتذر عن الزنجشري من وجهين، ردّ أولهما
 وهو أن أُل إذا دخلت على اسم الجنس لا تكون للاستغراق، لأن الزنجشري
 -في مواضع من تفسيره- يرى أنها تكون للاستغراق.

وأما الافتراض الثاني فكان السبكي يجد للزنجشري بعض العذر فيه حين
 قال ففيه نظر، لأنه يفهم من ذلك أنه ربما كان له وجه، ولكن الأمر غير ما
 يريد.

وقد نبه السبكي إلى أنه لا يُسَلَّم بامتناع إطلاق الحمد لغير أهل الكمال،
 لأنه قد يحمد غير الإنسان كقول العرب : عند الصباح يحمد القوم السرى.
 خامساً : ذكر الخطيب القزويني (٧٣٩هـ) في باب المشاكلة^(٢) قوله
 تعالى : ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة : ١١٦]، وهذا يعني
 نفي صفة النفس عن الله عز وجل، وما كان ذلك إلا بدافع من معتقده
 الاعتزالي.

(١) المصدر السابق : ٣٦/١ - ٣٧.

(٢) الإيضاح : (بغية الإيضاح : ٢٢/٤).

ولقد تجاهل القزويني أن صفة النفس ثابتة لله عز وجل بعدد من الآيات منها:

قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ^١ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ

وقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ^٢ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ

وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ

وقوله تعالى في سورة طه: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَمْوَسِي^٣ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي

بل ثبت في الحديث الصحيح قوله ﷺ: (لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك)^(١).

كل هذه الأدلة تدحض ما ذهب إليه القزويني، وتؤيد مذهب أهل السنة في إثبات هذه الصفة، وقد وقف قلة من البلاغيين للرد على القزويني^(٢) في ذلك.

سادساً: عندما ذكر الزمخشري قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ أَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ

(١) أخرجه أصحاب السنن الأربع وأحمد، ينظر: صحيح الترمذي: ١٨٠/٣، وصحيح ابن ماجه: ١٩٤/١، وإرواء الغليل: ١٧٥/٢.

(٢) ينظر: بغية الإيضاح للصعدي: ٢٢/٤-٢٣، ورسالة المشاكلة لابن كمال باشا: ٧٥.

يرى الزمخشري^(١) أن الله سوّى بين عدم الإيمان، وبين الإيمان الذي لم يقترن بالعمل الصالح في عدم الانتفاع به.

وقد انبرى عدد من العلماء للرد على الزمخشري عن طريق جعل هذه الآية من باب اللف والنشر، كما فعل الطيبي^(٢)، وابن مالك الرعيني^(٣)، وغيرهما^(٤)، فذكروا أن الآية فيها محذوف وهو المعطوف، وتقديره: (وكسبها) فيكون معنى الآية: لا ينفع نفساً إيمانها وكسبها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت.

(١) الكشف: ٦٣/٢-٦٤.

(٢) التبيان: ٤٠١.

(٣) طراز الحلة: ٥٠٤-٥٠٥.

(٤) ينظر: مغني اللبيب لابن هشام: ٨٢٠/٢، والإنصاف لابن المنير (مطبوع بحاشية الكشف: ٦٣/٢).

الاحتكام إلى قوانين اللغة وقواعدها، من أصول

قواعد بلاغة أهل السنة

يمكن الانطلاق لهذه القاعدة من تقسيم ابن القيم رحمه الله دلالة الكلام بالنسبة لقصد المتكلم وفهم السامع إلى نوعين: حقيقية وإضافية، في قوله: "فالحقيقة تابعة لقصد المتكلم وإرادته، وهذه الدلالة لا تختلف، والإضافية تابعة لفهم السامع وإدراكه، وجودة فكرة وقرينته وصفاء ذهنه، ومعرفته بالألفاظ ومراتبها، وهذه الدلالة تختلف اختلافاً متبايناً بحسب تباين السامعين في ذلك"^(١).

ولهذا فالناظر في بلاغة النصوص الشرعية ينبغي أن يعلم علم اليقين أن التحديد الحقيقي لمعنى النص إنما هو مراد المتكلم، وهو المشرع هنا، فعليه أن يتوخى الوصول إلى ذلك من خلال السبل المتاحة، من مثل جمع الأساليب المماثلة للكلام المراد فهمه، فبعضها يوضح بعضاً، لأنها كلها من صاحب الكلام المطلوب معرفته، فإذا كانت آية مثل آية الاستواء في سورة طه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، فالخلاف المزعوم حول معنى استوى، وأنه يأتي بمعنى استولى، واحتج القائلون بذلك ببيت مجهول القائل نسب إلى الأخطل، ولم يثبت له، والبيت هو:

قد استوى بشر على العراق من غير سيفٍ أو دمٍ مهراق

فتفسير الاستواء بالآية لا يلجأ إلى بيانه من خلال هذا الشاهد - على فرض

صحته - إلا بعد تتبع معنى استوى في القرآن وفيما صح عن رسول الله ﷺ.

وقد تتبع شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم^(١) معنى الاستواء في القرآن الكريم ولغة العرب، ووصلا إلى الآتي:

للاستواء معنيان: مطلق، ومقيد:

المطلق: ما لم يوصل معناه بحرف كما في سورة القصص: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، ومعناه: كمل وتم. والمقيد: ثلاثة أضرب:

١- مقيد بإلى كما في سورة البقرة: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، وسورة فصلت: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾. وهما بمعنى العلو الارتفاع بإجماع السلف.

٢- مقيد بعلى كما في سورة الزخرف: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾، وفي سورة هود: ﴿وَقِيلَ يَتَّارِضْ أَبْلَعِي مَاءَكَ وَيَسْمَأْءُ أَقْلَيْي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، وفي سورة الفتح: ﴿فَاسْتَوَىٰ عَلَى سُوْقِهِ﴾ [الفتح: ٢٩]. وهذا معناه العلو والارتفاع.

٣- المقرون بالواو، وذكرنا نماذج له.

(١) مختصر الصواعق المرسلة: ١٢٦/٢-١٢٧، وينظر: كتاب ابن القيم رحمه الله (اجتماع الجيوش الإسلامية)، فهو خاص بمسألة الاستواء. ينظر: تحقيق الدكتور عواد المعنق.

لذلك ينبغي أن يوضح معنى الاستواء في ضوء ما ورد في كتاب الله عز وجل أولاً وعلى فرض صحة البيت، فإنه من الناحية اللغوية لا يخدم من استشهدوا به على أن معناه الاستيلاء لأسباب^(١) منها:

١- إنكار علماء العربية لمجيء استوى بمعنى استولى، فقد سئل ابن الأعرابي وغيره عن ذلك، فقال لا تعرف العرب ذلك.

٢- الاستواء الوارد في البيت هو بمعنى العلو والارتفاع النسبي: فإن بشراً هذا كان أخا عبد الملك بن مروان، وكان أميراً على العراق، فاستوى على سريرها كما هو عادة الملوك ونوابها أن يجلسوا فوق سرير الملك مستوين عليه، وهذا هو المطابق لمعنى هذه اللفظة، كقوله تعالى: ﴿لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ [الزخرف: ١٣]، ﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤].

٣- لو كان المراد بالبيت استيلاء القهر والملك، لكان المستوي على العراق عبد الملك بن مروان، لا أخاه بشراً، فإن بشراً لم يكن ينافي أخاه الملك.

٤- ولو أريد معنى غير المعنى المعروف المتبادر لتضمن الكلام قرينة تدل على المراد، كما هو معروف من إجماع البلاغيين.

ومثل ذلك يقال لمن ادعى المجاز في قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

فقد ناقش ابن قتيبة ذلك وأثبت أن أفعال المجاز لا تخرج منها المصادر ولا تؤكد بالتكرار^(٢)، وما دام المصدر المؤكد موجوداً، فالمراد حقيقة الكلام.

(١) مختصر الصواعق: ١٣٧/٢، ١٣٨.

(٢) تأويل مشكل القرآن: ١١١.

ولم يكن لابن قتيبة أن يحسم ذلك لولا براعته في معرفة سنن العرب في كلامها.

ويمكن إيجاز الطريق الأمثل للنظر معنى الكلام المراد فيما يلي:

١- جمع نظائر النص في القضية الواردة، فمن خلاله يفهم النص فهماً صحيحاً.

٢- عند الاختلاف في الفهم فإنه ينبغي التحاكم إلى فهم من وجه لهم الخطاب. وهم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم.

٣- إذا كان للنص أكثر من دلالة، فينظر أقربها إلى مراد المتكلم.

٤- إذا لم يكن بين هذه الدلالات تعارض وتناقض فإنه يمكن قبولها، فاختلاف التضاد هو المرفوض، أما اختلاف التنوع فمقبول.

وهذا يدعونا -أيها القارئ الكريم- إلى الوقوف عند مسألة القرينة اللفظية والعقلية وصلتها بموضوع هذا البحث.

القرينة البلاغية وأثرها في مخالفة معتقد أهل السنة

إن الراصد لكثير من المخالفات العقدية يلحظ أن من أهم أسبابها هو الاعتماد على القرينة العقلية، فإذا جاءوا مثلاً إلى قوله تعالى في سورة الفجر:

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ قالوا إنه مجاز بالحذف، ويقدرون المحذوف بقولهم: وجاء أمر ربك، أو وجاء عذابه، أو غير ذلك من التقديرات والأقوال التي مرّ بك شيء منها، فإذا بحثت عن تعليل لهذا التأويل رأيتهم يعزّون ذلك لاستحالته عقلاً!!!

وإذا تحدثوا عن المشاكلة جعلوا من أمثلتها قوله عز وجل في سورة المائدة:

﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾، وصرحوا أن مجيء النفس لله إنما هو من باب المشاكلة، متكئين على جانب العقل في استحالة أن يكون لله نفساً!!!

ومن خلال عرضي لما وقع فيه كثير من البلاغيين من مخالفات لمعتقد أهل السنة أدركت أن جل ذلك بسبب الاعتماد على القرينة العقلية.

والقرينة عند البلاغيين: إما لفظية وإما معنوية، وهي عندهم أيضاً إما مانعة من إرادة المعنى الأصلي وإما معينة على فهم المعنى المراد، وإما هما معاً. وقد كتب الأستاذ الدكتور أحمد محمد علي بحثاً قيماً عنوانه: (رأي في قرينة المجاز)^(١)، وهو -على صغر حجمه- مشتمل على آراء سديدة ومنبه إلى

(١) نشر في مجلة الأزهر للدراسات الإسلامية والعربية، فرع المنوفية، كلية اللغة العربية، العدد

أمور مهمة، توصل فيه كاتبه الفاضل إلى نتائج مُرضية، أرى أنه لا غنى لدارسي البلاغة عن الاطلاع عليه، والإفادة مما فيه، فالصيد في جوف الفرا، وقد أفدت منه في حديثي عن القرينة.

ومن هذا المنطلق، فلا بد من العناية بالقرينة في صرف الكلام عن ظاهره، ولا بد أن تكون القرينة معتبرة، لتعين على الفهم الصحيح، أما كيف يكون ذلك، فإليك ما أراه في هذا الموضوع.

أولاً: القرينة اللفظية:

إن الأصل في الكلام أن يفهم وفقاً لظاهره ما لم يقم مانع يمنع ذلك، وفهم النصوص الشرعية، قد وضع العلماء -رحمهم الله- له ضوابط، وتدرجوا في كيفية تحديد الفهم الصحيح، فإذا ورد نص في القرآن الكريم، خفي معناه في موضع، فإنه يمكن أن يرد في نصوص أخرى في القرآن ما يوضح ذلك، فجمع نظائر النص في المواضع الأخرى يسهم في توضيح المعنى وزوال الخفاء، وما يرد في المواضع الأخرى، إن هو إلا قرائن لفظية.

فإذا لم يرد في القرآن ما يوضح ذلك، فإنه يُفْرَع -حينئذ- لما صحَّ عن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، فهو لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، ولذلك فما صحَّ عنه عليه السلام يكون -أيضاً- من القرائن اللفظية.

فإن لم يوجد فينظر -بعدئذ- في الإجماع، ومن هنا يبدأ الاعتداد بفهم المتلقي، ولكنه ليس أي متلقٍ، وإنما هم أولئك الذين نزل القرآن في زمنهم، فهم أقدر على فهم القرآن فهماً صحيحاً سليماً، وأقدر ممن جاء بعدهم، فإذا أثر عنهم فهم وأجمع عليه طائفة منهم، فإن ذلك سيكون قرينة لفظية أيضاً.

والمرحلة الأخيرة في الاستعانة بفهم النص هي القياس ، والقياس أشبه ما يكون بالقرينة المعنوية ، ولكن القياس لا ينفك بحال عن المقيس عليه الذي مرّ بتلك المراحل الثلاث : القرآن ، وصحيح السنة ، وما أثر من فهم الصحابة ، والقياس لابد أن يكون معتمداً على أساس تجيزه اللغة وقوانينها .

من هنا -أيها القارئ الكريم- تدرك أهمية الاعتماد بالقرينة اللفظية للوصول إلى الفهم الصحيح للقرآن الكريم ، وإن احتيج إلى القرينة العقلية ، فلا بد أن تكون بمعونة من القرائن اللفظية حتى لا يترك المجال مفتوحاً للعقل القاصر ، ليتحكم -بمفرده- في فهم النصوص دون ضوابط .
ولندرك أهمية الاعتماد بالقرينة اللفظية لفهم النصوص فهماً صحيحاً أذكر لك مثالين :

الأول : صفة النفس لله سبحانه التي جعلها بعض البلاغيين من قبيل المشاكلة في قوله تعالى في سورة المائدة : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ ، ولا شك في أنهم يعلمون علم اليقين أن القرآن يوضح بعضه بعضاً ، فماذا سيقولون عن ورود صفة النفس لله سبحانه ، وثبوتها له في عدد من الآيات منها :

قوله جل وعلا في سورة آل عمران : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۖ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ .

وقوله تبارك اسمه في سورة الأنعام : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾

[الأنعام : ٥٤] .

ويجعلون -أيضاً- صفة المكر من باب المشاكلة في قوله تعالى في سورة

الأنفال : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾ ، ولو قرأوا آية

الأعراف: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ؟ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١)
لأدركوا أن هذه الصفة لم تأت للمشاكلة، ربنا لا تجعلنا من القوم
الخاسرين.

المثال الثاني: صفة الاستواء التي أولها عدد من البلاغيين سواء أكان عن
طريق التورية، أم الاستعارة، أم الكناية، أو غير ذلك، والغريب أنهم اعتمدوا
في هذا التأويل على بيت من الشعر مجهول القائل:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف أو دم مهراق

اعتدوا بهذا البيت الذي تزكم أنوفنا رائحة الصنعة فيه، ولم ينظروا في
المواضع الأخرى الكثيرة للاستواء في القرآن الكريم، ولم يأخذوا بما قاله أئمة
اللغة في الاستواء، وانظر - غير مأمور - إلى ما خطه يراع الإمام الجهمذ - ابن قيم
الجوزية - عليه رحمة الله في كتابه: (اجتماع الجيوش الإسلامية) إذ جمع ما ورد
في القرآن الكريم من حديث عن الاستواء، وفصل القول في معناه، ثم نقل ما
أثر عن أئمة اللغة في معنى الاستواء، ودون ما روي عن إمام الهجرة مالك بن
أنس رحمه الله حين سئل عن استواء الله فقال: "استواؤه معقول وكيفيته
مجهولة، وسؤالك عن هذا بدعة، وأراك رجل سوء"^(١)، فهذه كلها من القرائن
اللفظية التي تعين على فهم النص فهماً صحيحاً هو ما نحسبه فهم أهل السنة،
والله أعلم.

ولتزداد القضية وضوحاً أعرض ما يحصل من خطورة الاكتفاء بالقرينة
العقلية.

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية: ١٤١/٢.

ثانياً: خطورة الاتكاء على القرينة العقلية بمفردها:

إن للعقل البشري حدوداً لا يتجاوزها، ونهايات لا يتعداها، وقد كلف الله عز وجل الإنسان بما يتلاءم مع قدراته فليس للإنسان أن يتجاوز حدوده، فيحكم على أمور غيبية استأثر الله بكنهها، وليس لهذا الإنسان أن يحكم على ما يوصف به الله من واقع تصور وصف الإنسان بذلك، فالله سبحانه يقول في سورة الشورى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وهو القائل في سورة الأنعام: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، ودعني -أيها القارئ الكريم- أسوق إليك هذه الحكاية الطريفة، وإن كانت تذكر على سبيل الفرض، لكنها تصف حالة الإنسان وصفاً دقيقاً في تصوره وفق إمكاناته، فقد أورد الدكتور علي الفقيه في مقدمة تحقيقه لكتاب: الرد على الجهمية، للإمام الحافظ ابن منده، ما قاله أحد المحاضرين، ونصه: "يقال: إن رجلاً أعمى رُدَّ بصره عليه لحظةً، فرأى رأس ديك، ثم عاد أعمى كما كان، فكان إذا قيل له: إن فلاناً بنى قصرًا عظيمًا، قال: كيف هو من رأس الديك؟، وإذا قيل له: وصلت اليوم الميناء سفينة ضخمة، قال: كيف هي من رأس الديك؟!، وهكذا كلما ذكر له شيء، قال: كيف هو من رأس الديك؟!، لأنه لم يشاهد غيره، ويريد أن يقيس كل شيء على الذي شاهده، وهكذا هؤلاء المؤولون لصفات الله تعالى، لم يشاهدوا إلا هذا المخلوق الضعيف الفاني المتصف بهذه الصفات الفانية بفنائه، فتوهموا أنهم إن أثبتوا لله هذه الصفات التي ذكرها في كتابه - وهو أعلم بنفسه من خلقه- أو أثبتها له رسوله -وهو أعلم الخلق وأتقاهم وأخشاهم لله تعالى- فقد شبهوه بمخلقه، والله تعالى أجل وأعظم من كل ما

شاهدته الأبصار أو توهمته العقول" (١)، وعلى هذا فالإنسان ينطلق في أحكامه العقلية وفق ما يتصوره، وتصوّر رأس الديك أنموذج لحدود التصور عند الإنسان، فهو لا يتصور إلا ما يوحى إليه عقله، والدنيا نفسها فيها ما لم يتخيله بعض بني البشر، بل ربما يحدث أن يتحقق ما يراه الإنسان مستحيلاً في يوم من الأيام!!، فهل كان أجدادنا يتصورون -مجرد تصور- أن إنساناً يمكنه أن يتحدث حقيقة في اللحظة نفسها مع إنسان آخر بينهما آلاف الأكيال!!؟، وهل يتصورون أن تقع أبصار من في المدينة النبوية -في الوقت نفسه على من يؤدي الصلاة في مكة!!؟. فلو أن مجادلاً قال إنه يمكن أن يتصوروا ذلك، فإن هذا المجادل سيؤكد لك أنهم يرون هذا التصور ضرباً من المستحيل.

فإذا كان ذلك من أمور الدنيا المحسوسة، فكيف يكون الأمر إذا كان متعلقاً بأمور الآخرة من الغيبات وغيرها!!؟، فإفراد العقل في الحكم على الغيبات فيه تجاوز لحدوده، ومن هنا يأتي ارتباط العقل بالنقل -الذي يمثل القرينة اللفظية-، فالعقل والنقل جناحا طائر الإدراك والفهم الصحيح، والله أعلم.

ثالثاً: الانفلات من قوانين اللغة يوقع في مزالق خطيرة في توجيه النصوص:

إن ترك المجال دون وضع مرجعية للعودة إليها عند الاختلاف هو نوع من التمرد والفوضى، وزج الناس في متاهات لا معالم لها ولا حدود. والفرق بين الرمزية المقننة التي هي عبارة عن مفاتيح يستخدمها الراغبون في سبر أغوار النص، وبين الانفلات من كل ضوابط فرق شاسع.

(١) مقدمة تحقيق الدكتور علي الفقيهي لكتاب: الرد على الجهمية، للإمام ابن منده: ٢١-٢٢.

ومن أهم المرجعيات لفهم النصوص معرفة قوانين اللغة ، فإن ذلك يقى من شر مستطير.

ولنقف على نموذج لذلك الانفلات.

فقد ذكر ابن قتيبة^(١) أن بعض الفرق قالت عن معنى قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْخُوا بِقَرَّةٍ﴾ [البقرة : ٦٧] : يعني عائشة.

وقالت عن معنى قوله تعالى : ﴿أَضْرِبُوهُ بِعَصَاهُ﴾ : يعني فاطمة والزبير. وعن الحبب والطاغوت قالت : أبوبكر وعمر.

وعن الخمر والميسر قالت : معاوية وعمرو بن العاص.

فأي مستند لغوي لهذه التأويلات سوى اتباع الهوى والشيطان!!؟

رابعاً: الموقف من المخالف:

من منطلق قبول الحق ممن كان فإن بلاغة أهل السنة يمكن أن تستفيد مما لدى المشاركين في التأليف البلاغي من غير أهل السنة فيما يتفق ومنهج أهل السنة.

والحق أن كثيراً مما ورد في مؤلفات الأشاعرة والماتريدية وبخاصة في ردودهم على المعتزلة يمكن أن يكون ذلك معيناً على الدفاع عن رأي أهل السنة - فيما يتفقون فيه مع الأشاعرة والماتريدية - والمساحة المشتركة بين علماء أهل السنة وغيرهم مساحة واسعة تزداد مساحتها في ميدان الأشاعرة ، وتضيق عند المعتزلة والرافضة ، يقول ابن القيم : "فمن هداه الله إلى الأخذ بالحق حيث كان ومع من كان ، ولو كان مع من يبغضه ويعاديه ، ورد بالباطل مع من كان ، ولو كان مع من يحبه ويواليه ، فهو ممن هدى الله لما اختلف فيه من الحق"^(٢).

(١) تأويل مختلف الحديث : ٧١-٧٢. وينظر : الإمام ابن تيمية وموقفه من التأويل : ٨٩.

(٢) الصواعق المرسلة : ٥١٦/٢ ، وينظر : منهج الاستدلال : ٦٩٤/٢.

المواصفات التي تحدد منهج البلاغة عند أهل السنة كما أراه

- ١- التعامل مع النصوص الشرعية من منطلق منهج أهل السنة في العقائد.
 - ٢- الإفادة من المؤلفات البلاغية لغير أهل السنة بقدر موافقتها لمنهج أهل السنة، وذلك من مبدأ قبول الحق ممن جاء به.
 - ٣- التعامل في توجيه النصوص وتحليلها بلاغياً من منطلق سنن العرب في كلامها، لأنه -من خلال الاستقراء- لا يمكن أن يتصادم منهج أهل السنة مع قوانين اللغة، وكما يقول ابن خلدون: إن البلاغة تؤيد مذهب أهل السنة، وليس المعتزلة، لاعتماد المعتزلة على العقل، وتوازن أهل السنة في ذلك، وإن كان ابن خلدون يقصد الأشاعرة فهذا يدخل في المساحة المشتركة.
 - ٤- أن يكون الأدب الإسلامي ميداناً فسيحاً تنتقي منه البلاغة السنية شواهداها.
 - ٥- تخلص كتب البلاغة من الاستشهاد بالأحاديث الموضوعة.
 - ٦- تخلصها من الشواهد المصادمة للمعتقد، أو التي تخدش الحياء الشرعي.
 - ٧- تقديم القرائن اللفظية -بالصورة التي مرّ ذكرها- على القرائن العقلية.
- ومما يسترعي الانتباه أن أغلب المؤلفات التي تتفق بنسبة كبيرة مع منهج أهل السنة هي أبعد ما تكون عن منهج المدرسة العقلية التي أغرقت البلاغة العربية في وحل المنطق.
- وليس هذا بغريب فأهل السنة هم أكثر الناس نفوراً من المنطق والفلسفة.
- ولعلنا نحقق بهذه المواصفات بلاغة سُنِّيَّة سُنِّيَّة نقيّة.
- والله الهادي إلى سواء السبيل.

الخاتمة

بعد هذا العرض الشامل، والوقفات الموجزة مع البلاغة العربية منذ نشأتها لمعرفة التوجه العقدي للمشاركين في البحث البلاغي، وضرورة إبراز رأي أهل السنة في علم من أهم علوم القرآن الكريم، إذ رأينا - فيما سبق - أن البلاغة العربية وُظِّفت بذكاء لخدمة معتقدات المعتزلة والأشاعرة والماتريدية وغيرهم من الفرق، وبقي أهل السنة بمنأى عن توظيف البلاغة لخدمة معتقداتهم إلا فيما ندر كما مرّ بنا.

ولذلك فإنني في ختام هذا البحث أدعو إلى قيام دراسات تسعى لرصد (أثر المعتقد في توجيه الرأي البلاغي)^(١). وتقويمه في ضوء مذهب أهل السنة والجماعة، لمعرفة أن ما سلكته تلك الفرق مخالف - من الناحية البلاغية - للحق والصواب، فالحق مع أهل السنة، وهم مع الحق، وقوانين اللغة، وقرائنها تؤيد رأيهم في فهم نصوص الشريعة، وإظهار بلاغة أهل السنة يكشف ذلك، والله تعالى أعلم.

والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) شرع الباحث الكريم الابن النابه / سليمان بن عبدالعزيز الربيعي المعيد بكلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم بتقديم تصور متكامل عن هذا الموضوع تمهيداً لتسجيله موضوع رسالة ماجستير. وفقه الله (ط).

وقد سجل الموضوع بعنوان: "التوجيه البلاغي لآيات العقيدة بين الطبري والزمخشري في تفسيرهما" في ١٤١٨/٧/٢٢هـ، وقد أنهى الطالب بحثه ونوقش في رسالته في ١٤٢٣/٨/٢٧هـ وشارك في المناقشة الدكتور سليمان الفصن الأستاذ المشارك في قسم العقيدة، إضافة إلى المشرف - مؤلف هذا الكتاب - وعضو من قسم البلاغة وهو الدكتور صالح الزهراني.

بيان بأهم المصادر والمراجع

- آثار الحنابلة في علوم القرآن، للدكتور سعود بن عبدالله الفنيسان، ط الأولى، د.ت.
- ابن القيم: حياته وآثاره، للشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد.
- ابن القيم وحسه البلاغي، للدكتور عبدالفتاح لاشين، دار الرائد العربي.
- أبو عبيدة ودراساته النحوية، لمحمد بن خالد الفاضل، رسالة ماجستير مرقونة على الآلة الكاتبة، مقدمة لقسم النحو والصرف بكلية اللغة العربية بالرياض.
- الإتيقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تقديم وتعليق الدكتور مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ.
- الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان لابن الأثير = انظر: المآخذ الكندية من المعاني الطائفة.
- الأسلوب الحكيم: دراسة بلاغية تحليلية مع تحقيق رسالة في بيان الأسلوب الحكيم، لابن كمال باشا، للدكتور محمد بن علي الصامل، ط ١، نشر دار إشبيليا عام ١٤٢٢هـ.
- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، للعز بن عبدالسلام، طبع بعناية رمزي دمشقية، دار البشائر الإسلامية.
- أصول البلاغة، لميثم البحراني، تحقيق الدكتور عبدالقادر حسين، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠١هـ.
- أصول مذهب الشيعة، للدكتور ناصر القفاري.

- إعجاز القرآن، للقاضي عبد الجبار: تحقيق أمين الخولي، نشر وزارة الثقافة بمصر، عام ١٣٨٠هـ.
- إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، للدكتور منير سلطان، طبعة منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٧٧م.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ت.
- الأعلام، لخير الدين الرزكلي، الطبعة الثالثة.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية، راجعه وعلق عليه: طه عبدالرؤوف، دار الجليل، بيروت، ١٩٧٣م.
- أعيان الشيعة للعاملية.
- الإكسير في علم التفسير، للطوفي، تحقيق الدكتور عبدالقادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٣٩٧هـ.
- الالتزام الإسلامي في الشعر، للدكتور ناصر بن عبدالرحمن الخنين، دار الأصاله، الرياض.
- الإمام ابن تيمية وقضية التأويل، للدكتور محمد السيد، شركة مكتبات عكاظ، ط ٣، ١٤٠٣هـ.
- الإمام الخطابي وآثاره الحديثية ومنهجه فيها، لأحمد بن عبدالله الباتلي، رسالة ماجستير مرقونة على الآلة الكاتبة، مقدمة لقسم السنة وعلومها، بكلية أصول الدين بالرياض، ١٤١٠هـ.

- الانتصار لنقل القرآن، للباقلاني، مخطوط مصور عن نسخة مكتبة قرّة مصطفى باشا.
- الإنصاف فيما تضمنه الكشف من الاعتزال، لابن المنير السكندري، مطبوع بحاشية الكشف، دار المعرفة بيروت.
- أنوار التجلي على ما تضمنته قصيدة الحلي، للشعالبي الفاسي، مخطوط، مصور عن نسخة جامعة الملك سعود بمجلديها رقم: ٤٥٩٧، ٤٦٣٤.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للقاضي البيضاوي، تحقيق الشيخ عبدالقادر عرفات حسونة، دار الفكر ١٤١٦هـ، وبحاشيته: حاشية الكازروني على تفسير البيضاوي.
- الإيجاز لأسرار كتاب الطراز في علوم حقائق الإعجاز من العلوم البيانية والأسرار القرآنية، ليحيى بن حمزة العلوي: تحقيق رياض القرشي، رسالة ماجستير مرقونة على الآلة الكاتبة.
- الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، شرح وتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د.ت.
- البحث البلاغي عند ابن قتيبة، لمحمد بن علي الصامل، رسالة ماجستير مرقونة على الآلة الكاتبة، مقدمة لقسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي، بكلية اللغة العربية بالرياض، ١٤٠٥هـ.
- بدائع الفوائد، لابن القيم الجوزية، تحقيق: معروف مصطفى زريق، ومحمد وهبي سليمان، وعلي عبدالحميد بلطه جي، دار الخير، ط ١، ١٤١٤هـ.

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للقاضي محمد بن علي الشوكاني، مطبعة دار السعادة، ط ١، ١٣٤٨هـ.
- البديع لابن المعتز، عناية كراتشقوفسكي.
- البديع في البديع في نقد الشعر، لأسامة بن منقذ، تحقيق عبد.آ. علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ.
- بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، تحقيق الدكتور حفني شرف، دار نهضة مصر، ط ٢.
- البديعيات في الأدب العربي، لعللي أبوزيد، عالم الكتب، بيروت، دمشق، ط ١، ١٤٠٣هـ.
- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، لابن الزملاكاني، تحقيق الدكتور أحمد مطلوب، والدكتورة خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ط ١، ١٣٩٤هـ.
- البرهان في وجوه البيان، لابن وهب الكاتب، تحقيق الدكتور حفني محمد شرف، مكتبة القاهرة، وله طبعة أخرى بتحقيق الدكتور أحمد مطلوب، والدكتورة خديجة الحديثي، ط ١، ١٣٨٧هـ.
- بغية الإيضاح لتخليص المفتاح، لعبدالمعتال الصعيدي، مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية، مصر.
- البلاغة تطور وتاريخ، للدكتور شوقي ضيف، دار العارف، القاهرة، ط ٥.
- بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار، للدكتور عبدالفتاح لاشين، دار الفكر العربي، مطبعة دار القرآن، ميدان الأزهر.

- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، للدكتور محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢، ١٤٠٨هـ.
- البلاغة والنقد في شروح البديعيات في القرن الثامن الهجري: دراسة وتقويماً: لمحمد بن علي الصامل، رسالة دكتوراه مرقونة على الآلة الكاتبة مقدمة لقسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي بكلية اللغة العربية بالرياض، ١٤١٠هـ.
- بيان إعجاز القرآن، للخطابي = انظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.
- تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية، للدكتور مهدي صالح السامرائي، المكتب الإسلامي، دمشق، ط ١، ١٣٩٧هـ.
- تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة، صححه وضبطه محمد زهري النجار، دار الجيل، بيروت، ١٣٩٣هـ.
- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط ٢، ١٣٩٣هـ.
- تاريخ بغداد، للحافظ البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.
- التاريخ الكبير، للبخاري، مؤسسة الكتب الثقافية، د.ت.
- التبيان في علم البيان، لشرف الدين الطيبي، تحقيق هادي عطية مطر الهلالي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ.
- وطبعة أخرى بتحقيق توفيق الفيل، وعبد اللطيف لطف الله، الكويت ١٤٠٦هـ.
- وثالثة: بتحقيق عبد الحميد أحمد يوسف هنداي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.

- ورابعة بتحقيق الدكتور عبدالستار زموط، دار الجليل، بيروت، ١٤١٦هـ.
- التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن، لابن الزملكاني، تحقيق الدكتور أحمد مطلوب، والدكتورة خديجة الحديثي.
- تجريد البلاغة = انظر: أصول البلاغة لميثم البحراني، تحقيق عبدالقادر حسين، دار الشروق، ١٤٠١هـ.
- تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، تحقيق الدكتور حفني شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٣م.
- تفسير البيضاوي = ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل.
- تلخيص البيان في مجازات القرآن، للشريف الرضي، تحقيق محمد عبدالغني حسن، دار إحياء الكتب العربية.
- تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، بشرح البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- تلخيص المفتاح = ينظر: شروح التلخيص.
- التوصل بالبديع للتوصل بالشفيع، لعزالدين الموصلي، مخطوط، لدي منه نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية ذات الرقم: ٦٠٧ بلاغة.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، حققه وضبطه محمد زهري النجار، عالم الكتب، ط ١٤١٤، ٢هـ.
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني، والخطابي، وعبدالقاهر الجرجاني، تحقيق محمد خلف الله، والدكتور محمد زغلول سلام، ط ٣، دار المعارف بمصر.

- ثلاث رسائل في اللغة، لابن كمال باشا، تحقيق الدكتور محمد أبو الفتوح، مكتبة لبنان، ط ١، ١٩٩٣م.
- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور، لابن الأثير، تحقيق: الدكتور مصطفى جواد، والدكتور جميل سعيد، المجمع العلمي العراقي، ١٣٧٥هـ.
- الجامع لشعب الإيمان، للبيهقي، تحقيق الدكتور عبدالعلي حامد، دار الريان للتراث، الدار السلفية، بومباي، ط ١، ١٤٠٧هـ.
- جنى الجناس، للسيوطي، تحقيق محمد علي رزق الحفاجي، نشر الدار الفنية.
- جنان الجناس، للصفي، تحقيق سمير حسين حليبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، تحقيق عبدالفتاح الحلو، دار العلوم، الرياض، ١٣٩٩هـ.
- الحث على طلب العلم، لأبي هلال العسكري، تحقيق الدكتور مروان قباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ.
- حسن التوسل إلى صناعة الترسل، لشهاب الدين محمود الحلبي، تحقيق الدكتور أكرم عثمان، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠م.
- حلية المحاضرة، لأبي علي الحاتمي، تحقيق الدكتور جعفر الكتاني، دار الرشيد، بغداد، ١٩٧٩م.
- وهناك تحقيق آخر للجزء الأول حققه هلال ناجي، نشره سنة ١٩٧٨م.

- الحيوان، للجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٣٨٨هـ.
- خزانة الأدب وغاية الأرب، لأبي بكر بن حجة، شرح عصام شعيتو، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م.
- الخصائص، لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت.
- خلاصة المعاني، للحسن عثمان المفتي، تحقيق الدكتور عبدالقادر حسين، الناشرون العرب، الرياض.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة.
- دلائل الإعجاز، لعبدالقاهر الجرجاني، تحقيق محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٤هـ.
- دليل عناون الرسائل العلمية لرسائل الماجستير والدكتوراه بكليات البنات حتى نهاية شهر محرم ١٤١٥هـ، عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي بوكالة الرئاسة لكليات البنات.
- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، لآفابرزك الطهراني، ط ١.
- ذيل طبقات الخنابلة، لابن رجب، وقف على طبعه محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٣هـ.
- رأي في قرينة المجاز، للدكتور أحمد محمد علي، بحث منشور في مجلة الأزهر، بكلية اللغة العربية، فرع المنوفية، العدد الثاني عشر، ١٤١٢هـ.

- الرد على الجهمية، للإمام الحافظ ابن منده، تحقيق الدكتور علي محمد ناصر الفقيهي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط ٣، ١٤١٤هـ.
- الردود والعقبات على ما وقع الإمام النووي في شرح صحيح مسلم من التأويل في الصفات، تصنيف أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار الهجرة، الرياض، ط ١، ١٤١٣هـ.
- رسائل ابن كمال باشا، تحقيق الدكتور ناصر بن سعد الرشيد، النادي الأدبي بالرياض، ١٤٠١هـ.
- الرسائل الحاتمية لأبي علي الحاتمي، منشور في مجموعة التحفة البهية، الأستانة، ١٣٠٢هـ.
- الرسالة الشافية في إعجاز القرآن، لعبدالقاهر الجرجاني = ينظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، وكذلك انظر: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر.
- الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعره، لأبي علي الحاتمي، تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم، دار صادر ودار بيروت، ١٣٨٥هـ.
- روضات الجنان في أحوال العلماء والسادات، للخوانساري، ط ٢، ١٣٦٧هـ.
- الروض المريع في صناعة البديع، لابن البناء المراكشي، تحقيق الدكتور رضوان بنشقرون، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٥م.
- الروض الواسع في الدليل المقنع على عدم انحصار علم البديع، للإمام الشوكاني، لدي منه نسخة مصورة عن نسخة جامع صنعاء.

- سر الفصاحة، لابن سنان الخافجي، شرح وتصحيح عبدالمعتال الصعيدي، ١٣٨٩هـ.
- سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط ٩، ١٤١٣هـ.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لللالكائي، تحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.
- شرح مختصر الروضة، للطوفي، تحقيق الدكتور عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ.
- شروح التلخيص (مختصر السعد، ومواهب الفتاح، وعروس الأفراح، وحاشية الدسوقي)، دار السرور، بيروت.
- الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية، للطوفي، تحقيق الدكتور محمد بن خالد الفاضل، مكتبة العبيكان، ط ١، ١٤١٧هـ.
- صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، للسيوطي، تعليق علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الضمير المنفصل في القرآن الكريم: دراسة بلاغية تطبيقية، لعويض بن حمود العطوي، رسالة ماجستير مرقونة على الآلة الكاتبة، مقدمة لقسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي بكلية اللغة العربية لعام ١٤١٦هـ.
- طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكي، تحقيق عبدالفتاح الحلو، ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

- طراز الحلة وشفاء الغلة، لابن مالك الرعيني، تحقيق الدكتور رجاء السيد الجوهري، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى بن حمزة العلوي، عناية سيد المرصفي، مطبعة المقتطف بمصر ١٣٣٢هـ.
- ظاهرة التأويل وصلتها باللغة، للسيد أحمد عبدالغفار، دار الرشيد، الرياض.
- عروس الأفراح، لبهاء الدين السبكي = ينظر: شروح التلخيص، دار السرور، بيروت.
- عقود الجمان، للسيوطي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ١٣٥٨هـ.
- علاقة التفسير بالبلاغة عند الزمخشري، لعمر حامد الملاحويش.
- عقيدة الإمام ابن قتيبة، للدكتور علي بن نفيح العلياني، مكتبة الصديق، ط ١، ١٤١٥هـ.
- العقيدة السلفية في كلام رب البرية، لعبدالله بن يوسف الجديع، ط ١، ١٤٠٨هـ.
- عكس الظاهر في ضوء أسلوب القرآن الكريم ولغة العرب، للدكتور عبده زايد (أحمد محمد علي)، دار الصحوة للنشر، القاهرة، ط ١، ١٤١٢هـ.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق، تحقيق الدكتور محمد قرقران، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- عنوان الدليل من مرسوم خط أي التنزيل، لابن البناء المراكشي، تحقيق هند شلبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م.

- عيار الشعر، لابن طباطبا، تحقيق الدكتور عبدالعزيز بن ناصر المانع، دار العلوم بالرياض، ١٤٠٥هـ.
- عيون الأخبار، لابن قتيبة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٣هـ.
- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبدالرزاق الدويش، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ٢، ١٤١٢هـ.
- فتح الجليل للعبد الذليل، للسيوطي، تحقيق عبدالقادر أحمد عبدالقادر، دار البشير، عمان ١٤١٢هـ.
- فخرالدين الرازي بلاغياً، لماهر مهدي هلال، دار الحرية، ١٣٩٧هـ.
- الفرق بين الفرق، للبغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٧م.
- فض الختام عن التورية والاستخدام، للصفدي، تحقيق الدكتور المحمدي عبدالعزيز الحناوي، دار الطباعة المحمدية، ١٣٩٩هـ.
- الفلك الدائر على المثل السائر، لابن أبي الحديد، تحقيق الدكتور أحمد الحوفي، والدكتور بدوي طبانة، دار الخانجي، ودار الرفاعي.
- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، مؤسسة آل البيت، عمّان، المجمع الملكي، ١٩٨٩م.
- الفوائد البهية في تراجم الحنفية، لأبي الحسنات اللكنوي، عني بتصحيحه محمد بدرالدين النعساني، دار المعرفة، بيروت.
- الفوائد الغيائية، لعضد الدين الأيجي، تحقيق الدكتور عاشق حسين، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، ط ١، ١٤١٢هـ.
- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، المنسوب لابن قيم الجوزية.

- فوات الوفيات والذيل عليها، لابن شاکر الکتبی، تحقیق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بیروت.
- قانون البلاغة، لابن طاهر البغدادي، تحقیق الدكتور محسن غیاض عجیل، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ.
- القزويني وشروح التلخیص، للدكتور أحمد مطلوب، مكتبة النهضة، بغداد، ط ١، ١٣٨٧هـ.
- قطف الأزهار في كشف الأسرار، للسيوطي، تحقیق الدكتور أحمد محمد الحمادي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، ١٤١٤هـ.
- قطوف أدبية حول تحقیق التراث، لعبد السلام محمد هارون، مكتبة السنة، الدار السلفية لنشر العلم، ط ١، ١٤٠٩هـ.
- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار الهجرة، صنعاء، ١٤١٠هـ.
- القول البديع في علم البديع، لمرعي الحنبلي، تحقیق الدكتور محمد بن علي الصامل، كنوز إشبيليا، ط ١، ١٤٢٥هـ.
- الكاشف عن حقائق السنن = شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، تحقیق المفتي عبدالغفار وآخرين، دار القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي، ١٤١٣هـ.
- الكافي في العروض والقوافي، للخطيب التبريزي، تحقیق الحساني حسن عبدالله، مؤسسة عالم المعرفة، بیروت، و تحقیق آخر بعنوان الوافي في العروض والقوافي، تحقیق عمر يحيى، وفخر الدين قباوة، دار الفكر، ١٣٩٥هـ.

- كتاب سر الفصاحة : دراسة وتحليل ، للدكتور عبدالرزاق زايد ، مكتبة الشباب ، القاهرة.
- كتاب الصناعتين ، لأبي هلال العسكري ، تحقيق : علي البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة.
- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، للزمخشري ، دار المعرفة ، بيروت.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لحاجي خليفة ، مكتبة المثنى ، بغداد.
- كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب ، لابن الأثير ، تحقيق د. نوري القيسي ، ود. حاتم الضامن ، ود. هلال ناجي ، جامعة الموصل.
- وطبعة أخرى بتحقيق د. النبوي شعلان ، دار الزهراء للإعلام العربي ، ١٤١٥هـ.
- كناشة النوادر لعبد السلام هارون ، دار الطلائع ، القاهرة ، ط ١.
- لسان الميزان ، لابن حجر العسقلاني ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٠هـ.
- لطائف التبيان في علمي المعاني والبيان ، للطبيبي ، تحقيق عبد الحميد هندراوي ، المكتبة التجارية ، مكة المكرمة.
- المآخذ الكندية من المعاني الطائفة (الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان) لابن الأثير ، تحقيق الدكتور حفني محمد شرف ، مكتبة الأنجلو المصرية.
- الماتريديّة وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات ، للشمس السلفي الأفغاني ، مكتبة الصديق ، الطائف ، ط ١ ، ١٤١٣هـ.

- متشابه القرآن، للقاضي عبد الجبار، تحقيق الدكتور عدنان زرزور، دار التراث، القاهرة.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، تحقيق الدكتور أحمد الحوفي، والدكتور بدوي طبانة، دار الخانجي، ودار الرفاعي.
- مجاز القرآن؛ لأبي عبيدة، تحقيق د. فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي بمصر.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد ابن قاسم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- مختصر السعد للتفتازاني = انظر: شروح التلخيص.
- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، لابن القيم، اختصار الشيخ محمد الموصلي، مكتبة الرياض الحديثة.
- مختصر المعاني للتفتازاني، تعليق الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد، انتشارات سيد الشهداء.
- المزايا والخواص في الأسلوب البلاغي، لابن كمال باشا، تحقيق د. حامد قنبي = منشور في: بحوث ودراسات في اللغة العربية وآدابها، كلية اللغة العربية، ج ٢.
- المصباح في تلخيص المفتاح، لبدر الدين بن مالك، تحقيق الدكتور حسني عبدالجليل يوسف، مكتبة الآداب.
- المطول، للتفتازاني، مكتبة الدواوي، قم، ط ١، ١٤٠٩ هـ.
- المعاني في ضوء أساليب القرآن، للدكتور عبدالفتاح لاشين.
- معترك الأقران، للسيوطي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي.

- المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، لعواد بن عبدالله المعتق، دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤٠٩هـ.
- المعجزة الكبرى (القرآن)، لأبي زهرة، دار الفكر العربي.
- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، لياقوت الحموي، دار الفكر، ١٤٠٠هـ.
- معيد النعم ومبيد النقم، لتاج الدين السبكي، تحقيق محمد علي النجار وآخرين، مكتبة الخانجي، ومكتبة المثنى، ط ١، ١٣٦٧هـ.
- المغني في أبواب التوحيد والعدل، للقاضي عبد الجبار = انظر: إعجاز القرآن.
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق الدكتور مازن المبارك، محمد علي حمد الله، وراجعته سعيد الأفغاني، دار الفكر، ط ٥، ١٩٧٩م.
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير، أو تفسير الرازي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.
- مفتاح العلوم، للسكاكي، ضبط وشرح نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣هـ، وطبعة أخرى بتحقيق أكرم عثمان.
- المفتاح المنشأ لحديقة الإنشاء، لابن الأثير، تحقيق هلال ناجي، الموصل، ١٤٠٣هـ.
- وطبعة أخرى بتحقيق الدكتور عبدالواحد حسن الشيخ، شباب الجامعة، ١٤١١هـ.
- مقدمة ابن خلدون، لابن خلدون، دار القلم، بيروت، ط ٦، ١٤٠٦هـ.

- مقدمة تفسير ابن النقيب، لابن النقيب، تحقيق الدكتور زكريا سعيد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٥هـ.
- المنحى الاعتزالي في البيان وإعجاز القرآن، لأحمد أبو زيد، مكتبة المعارف، الرباط، ط ١، ١٩٨٦م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لحازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١م.
- منهاج السنة النبوية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ.
- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، لعثمان بن علي بن حسن، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤١٢هـ.
- منهج الخطابي في العقيدة، لإبراهيم بن عبدالله الحماد، رسالة ماجستير، مرقونة على الآلة الكاتبة مقدمة لقسم العقيدة في كلية أصول الدين بالرياض.
- منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، للدكتور مصطفى الصادق الجويني، دار المعارف، القاهرة، ط ٣.
- مواهب الفتاح، لابن يعقوب المغربي = انظر: شروح التلخيص.
- موقف ابن تيمية من الأشاعرة، للدكتور عبدالرحمن المحمود، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤١٥هـ.
- نتائج الألفية في شرح الكافية البديعية (شرح الكافية البديعية) لصفى الدين الحلبي، تحقيق الدكتور نسيب نشاوي، مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٢هـ.
- النجوم الزاهرة، لابن تغري بردي، وزارة الثقافة بمصر.

- نصره الثائر على المثل السائر، للصفي، تحقيق محمد علي سلطاني، ١٣٩١هـ.
- نصره الإغريض في نصره القريض، للمظفر العلوي، تحقيق نهى عارف الحسن، دار صادر بيروت، ط ٢، ١٤١٦هـ.
- نظم البديع في مدح خير شفيع، للسيوطي، المطبعة الوهية، ١٢٩٨هـ.
- نقد الشعر، لقدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣.
- نقد النثر المنسوب لقدامة بن جعفر، تحقيق عبدالحميد العبادي، وتقديم طه حسين.
- نكت الانتصار لنقل القرآن، المنسوب للباقلاني، تحقيق الدكتور محمد زعلول سلام، اختصره محمد عبدالله الصيرفي.
- النكت في إعجاز القرآن، للرماني = انظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، للفخر الرازي، تحقيق الدكتور بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٨٥م.
- الوافي بالوفيات، للصفي، ط ٢، ١٤٠١هـ.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية القاهرة.
- الوشي المرقوم في حل المنظوم، لابن الأثير، بيروت، ١٢٩٨هـ.
- وطبعة أخرى بتحقيق د. جميل سعيد، بغداد.
- وفيات الأعيان، لابن خلكان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	ذكر ودعاء ، وشكر وإهداء
٩-٧	مقدمة الطبعة الثانية
١٢-١١	مقدمة الطبعة الأولى
١٣	وقفة مع العنوان
١٧-١٤	فكرة التأصيل لمذهب أهل السنة في البلاغة
١٨-١٧	تحديد مفهوم أهل السنة
٢١-١٨	على من يحكم بالسنية؟
	الانتماءات العقدية لأشهر علماء البلاغة العقدية من خلال
١١٦-٢٢	كتبهم البلاغية
١٢٠-١١٧	التوجه لدراسة رأي أهل السنة في البلاغة في العصر الحديث
١٢١	وجوه خدمة المعتقد في البحث البلاغي
١٢١	- نشوء فكرة بلاغية
١٢٢	- أن يكون الجانب العقدي هو سبب التأليف
١٢٣	- أن تظهر خدمة المعتقد من عنوان الكتاب
١٢٥-١٢٣	- أن تكون خدمة المعتقد الغاية من تأليف الكتاب
١٢٦-١٢٥	- وجود أحد الأنواع البلاغية
١٢٧	- تحديد أقسام النوع البلاغي
١٢٨-١٢٧	- مخالفة القاعدة البلاغية
١٢٩-١٢٨	- إيراد أمثلة لأحد الأنواع البلاغية من القرآن الكريم
١٢٩	- تحليل النص

الصفحة	الموضوع
١٣١-١٣٠	صلة اللغة بخدمة المعتقد
١٣٣-١٣٢	أثر العجمة في الانحراف العقدي
١٤٠-١٣٤	نماذج للتوجيه البلاغي المخالف لمنهج أهل السنة
	الاحتكام إلى قوانين اللغة وقواعدها من أصول قواعد بلاغة أهل
١٤٤-١٤١	السنة
١٤٥	القرينة البلاغية وأثرها في مخالفة معتقد أهل السنة
١٤٨-١٤٦	أولاً: القرينة اللفظية
١٥٠-١٤٩	ثانياً: خطورة الاتكاء على القرينة العقلية بمفردها
	ثالثاً: الانفلات من قوانين اللغة يوقع في مزالق خطيرة في توجيه
١٥٠	النصوص
١٥١	رابعاً: الموقف من المخالف
١٥٢	المواصفات التي تحدد منهج البلاغة عند أهل السنة
١٥٣	الخاتمة
١٧٢-١٥٥	بيان بأهم المصادر والمراجع
١٧٤-١٧٣	فهرس الموضوعات